ثقافات الشعوب

@ketab_n
28.10.2014

زنبقة الماء

حكايات شعبية من الصين

جمع: ريف، جيه ماكجوان ، دي، دي.
ترجمة: خلود الخطيب

زنبقة الماء

حكايات شعبية من الصين

جمع:
ريف جيه ماكجوان دي.دي.

ترجمة:
خلود الخطيب

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

زنبقة الماء

حكايات شعبية من الصين

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

زنبقة الماء: حكايات شعبية من الصين.

© حقوق الطبع محفوظة
هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

GR335.M2812 2009
Macgowan, J, (John)1922
[Chinese folk-lore Tales]

زنبقة الماء: حكايات شعبية من الصين/ جمع: ريف جيه ماكجوان دي.دي. ترجمة: خلود الخطيب- ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
144ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-328-0
ترجمة كتاب: Chinese folk-lore Tales
1 - القصص الشعبية الصينية. 2 - الحكايات الصينية. أ- الخطيب، خلود. ب- العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبو هواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان

كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الأرملة هوو	9
كوانج جوي وإله النهر	33
ابنة ليو كونغ الجميلة	57
الراهب الجني	93
الثوب الغامض	111

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

Twitter: @ketab_n

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه – وإن بلغة أخرى – جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

الأرملة هوو

ما إن انبثقت أولى تباشير فجر جديد، حتى انطلق نبيل من صفوة الماندرين[1] الرفيعة مغادراً معبد سيتي جايد[2]. كان من بين المهام الموكلة إليه زيارة هذا المعبد المقدس في اليوم الأول ومنتصف كل شهر قمري لتقديم أعواد البخور الزكية والقرابين، والتعبد في محراب الهيكل الجاثم داخل الضريح بنظراته الصارمة النافذة بينما لا يزال أهل المدينة يغطون في نوم عميق.

لم تشهد الإمبراطورية الصينية نبيلاً أكثر عدلاً واستقامةً من تشي كونج الماندريني. فقد اقترنت سيرته دوماً بالإجلال والاحترام والتقدير ما ذكره الذاكرون؛ حيث لم يفقد الصينيون مطلقاً إيمانهم الثابت بمبادئ التين–لي، أو ما عُرف بالمثل العليا للتقوى والاستقامة الربانية. فلم تزل جذور مثل هذه المبادئ الرفيعة متأصلةً في نفوس الناس سادةً وعبيداً، فقراء وأغنياء، والواقع أن كافة مستويات المجتمع، حتى

(1) لقب نبيل لقاض في المحكمة الصينية (م).
(2) أحد المعابد القديمة في شنغهاي، الصين (م).

Twitter: @ketab_n

أكثرها فسادًا، تكن عميق الاحترام لأي رجل يجسد تلك المعاني النبيلة والقيم الإلهية.

وبينما جلس تشي كونج في محفة محمولة على الأكتاف تحيط به حاشية من شيعته المقربين، وقع بصره على شابة تسير في الطريق الممتد أمامه وتساءل في قرارة نفسه عن سبب خروجها من دارها في هذه الساعة المبكرة على غير ما جرت به العادة، ملتحفةً بالسواد وملابس الحداد بينما تحيطها هالةٌ من الحزن الشديد. ولبرهة من الوقت، ازدحمت الأفكار في ذهنه حتى استقرت به الظنون إلى أنها ولابد أرملة في طريقها لتزور قبر زوجها الراحل وتقدم القرابين وتقيم الشعائر المعتادة على روحه.

وإذ فجأة هبت زوبعة عارمة أحاطت بالأرملة وكأنها عدو لدود واختصتها بغضبها دون غيرها من المارة، فلم تحرك تلك الريح ورقة من أوراق الأشجار الملقاة على طرفي ذلك الطريق حتى أنها لم تثر مثقال ذرة غبار واحدة. وفي الواقع، لم تؤثر العاصفة الشديدة على أيّ من مكونات ذلك المشهد العجيب وكأنها سيف امتد طرفه المسنون مسلطاً نحو المرأة السائرة.

وبينما شخص تشي كونج ببصره محملقاً مستبيناً تفاصيل الواقعة الغريبة، رفع الهواء طرف رداء الأرملة الخارجي ليكشف عن ثوب

Twitter: @ketab_n

آخر قرمزي فاقع اللون يختبئ بين طيات ثياب الحداد. وفي التو واللحظة، اجتاحت الريبة الشديدة تشي كونج فمن غير المتعارف أن تجرؤ امرأة فاضلة على ارتداء ذلك اللون المبهرج في حين تتظاهر بالحزن العميق. طافت الظنون والشكوك بمخيلة الرجل بسبب تلك العاصفة الفجائية التي استبدت بوحدة تلك المرأة في عنف غريب. بالتأكيد لم تكن تلك مجرد حادثة عابرة ألمت بتلك المرأة وكانت السبب وراء تواجدها في ذلك الوقت. لابد من أنه غضب نفثته روح هائمة تعرضت لإساءة بالغة وعزمت على ملاحقة تلك الأرملة لإثم اقترفته في حقها ولابد لها من إنزال عقابها الشديد بها.

وعلى الفور، نادى تشي كونج اثنين من تابعيه وأمرهما بتتبع خطوات المرأة ومعرفة وجهتها ومقصدها وما شأنها في ذلك المكان وأن يعودا إليه بالخبر اليقين عن أمرها.

لم يملك المخبران من أمرهما إلا أن يطيعا تعليمات تشيه كونج حرفاً ومعنىً، ووجدا أنها قد ذهبت إلى المقابر الواقعة على التلال بالقرب من أطراف البلدة. جلبت الأرملة برفقتها كمية لا بأس بها من الأوراق النقدية الذهبية والفضية، وهو ما يقدم عادة للموتى لتمكينهم من شراء الأطعمة والاحتياجات الأخرى في عالم الظلال[1].

(1) الحياة البرزخية (م).

Twitter: @ketab_n

وما إن أوشكت على إضرام النار في هذه الأموال لتصل إلى الروح التي ترغب في إعطائها إياها، حتى تملك الذهول والدهشة المخبرين المترصدين لمعرفة خبر الأرملة، حيث هبت عاصفة أخرى بقوة وعنف العاصفة السابقة، وبعثرت الأوراق في كافة الاتجاهات بحيث لم تعد هناك ورقة واحدة باقية يمكن تقديمها إلى المتوفى.

ولقد أعدّ المخبران تقريراً كاملاً تضمن كافة هذه الأحداث التي وقعت للمرأة الشابة وقدماه إلى تشي كونج، الذي أرسل على الفور مبعوثاً خاصاً لقاضي البلدة يأمره بالتحقيق في هذه القضية بشكل مفصل ودقيق، ويبلغه بكافة تفاصيل تلك الحوادث الغريبة التي شهدها.

و لم يكن ذلك الماندرين الغاضب يعرف كيف يتصرف في هذا الشأن، فلم ترده أي شكوى بشأن هذه المرأة من أحد، و لم يكن لديه أي دليل يمكنه من اتخاذ الإجراءات اللازمة ضدها. وفي هذه الحالة قرر أن يقدم التماس إلى إله المدينة كي يكشف له عن الغموض المحيط بهذه القضية والذي لم يكن في استطاعته أن يحله. وبالتالي، وعند اقتراب الساعة من منتصف الليل، ذهب إلى معبد ذلك المعبود الشهير، وأخذ يستعد للنوم وكله إيمان بأنه إذا ما فعل ذلك فسينزل عليه الوحي الذي سيذلل له الكثير من الصعوبات.

Twitter: @ketab_n

وفي الساعات الأولى من صباح اليوم التالي، وفيما كان النهار على وشك السطوع، مرت رؤية واضحة أمام عيني الماندرين.

فلقد رأى الإله يخرج من محرابه ويظهر خلف تلك الستائر الصفراء التي تحجب وجهه عن نظرات العامة التي تتوافد على المعبد كل يوم. وأمامه كان هناك تابوت يسبح في الهواء لرجل بالغ، واستقر التابوت بالتدريج على المنضدة التي تقع أسفل المذبح تمامًا، والتي توضع عليها تلك الأطباق التي تحتوي على رماد الآلاف من أعواد البخور التي عادة ما تشعل أمام الإله توسلاً لرضاه.

وبعد لحظة، رأى القاضي النائم رجلاً يدلف من الظلام السحيق المحيط بالمكان ويقف على رأس التابوت.

ولقد كان هناك شيئاً مألوفاً في ملامح هذا الشخص المريب الذي وقف صامتاً في شموخ، وشعر الماندرين أنه قد رآه من قبل، وفجأة تعرف عليه على أنه المحقق في حوادث القتل الذي يعمل في مقاطعته، والذي طالما عمل معه وتلقى منه التقارير في حالات القضايا التي تثار فيها الشكوك فيما يتعلق بحوادث القتل. ولقد هال الماندرين هذا الكشف وأدهشه حتى أنه استيقظ من نومه مجفلاً ونهض تواً، وعندئذ اختفى المشهد بالكامل من أمامه، و لم

Twitter: @ketab_n

يعد يرى سوى ذلك التمثال الواقف في محرابه محاطاً بتلك الأشياء الرخيصة المبعثرة في غير ترتيب التي عادة ما تؤسس بها المعابد.

وفي ذلك الوقت كان الفجر يلقي بأشعته الباهتة وبضوئه الفضي على ذلك المبنى الهائل الكئيب، فاستيقظ القاضي وهرع إلى مقر القضاء الرئيسي الخاص به وقلبه يكاد يطير فرحًا بتلك الرؤيا التي منّ الإله بها عليه، وذلك السر العظيم الذي لم يكن يعرف عنه شيئًا والذي لابد من أنه يوجد في ذلك النعش وفي ذلك النعش فقط. وبدت مهمته سهلة، وبدا مرتاح البال عندما دلف إلى منزله.

وعلى الفور أصدر الماندرين أمراً بإلقاء القبض على الأرملة، وفي الوقت نفسه أرسل بعض العسكر لإحضار النعش الذي ترقد فيه جثة الزوج من المكان الذي دفن فيه.

وعندما حضرت الأرملة أمام الماندرين، أنكرت معرفتها بأسباب وفاة زوجها، بل اعترفت بأن الزوج قد أتى إلى البيت مخمورًا ذات ليلة، ووقع على الأرض دون حراك وبصعوبة كبيرة، تمكنت من رفعه على السرير، حيث نام نوم المخمور، كما يفعل من يتناولون الخمور عادة، وهكذا لم تقلق بشأنه على الإطلاق ولم يساورها الشك في حالته لحظة واحدة، وفي أثناء الليل غلبها النعاس وهي جالسة على مقربة منه تراقبه، وعندما

Twitter: @ketab_n

استيقظت وجدته، ويا لفزعها الرهيب، قد فارق الحياة.

وختمت قولها قائلة: «هذا جلّ ما يمكنني قوله عن هذه القضية، وإذا ما طلبتم الكشف على الجثة، فذلك يعني ببساطة أنكم تلقون بالشكوك من حولي ولا تصدقون كلامي، فلم يكن هناك أي شخص حاضراً معه عندما مات سواي. وعلى هذا الأساس فأنا أعترض على الكشف على الجثة، وإذا ما قررتم القيام بذلك على الرغم من اعتراضاتي، فها أنا ذا أحذركم أنه في حالة عدم وجود أي آثار للعنف على الجثة، فأنتم تعرضون أنفسكم لعقوبة الموت وفق قوانين الصين».

وعندها أجاب الماندرين قائلاً: «أنا على أتم الاستعداد لتحمل المسؤولية، ولقد أصدرت أوامري بالفعل للمحقق في قضايا القتل بفتح النعش وإجراء معاينة دقيقة للجثة».

ونتيجةً لهذا الكلام، فقد تم البحث بالفعل، ولكن لم يتم العثور على أي أثر للإصابة، ولا حتى ندبة صغيرة على أي جزء من أجزاء جثة الرجل.

وعندما علم قاضي المدينة بنتائج التحقيق أصيب بالغم

Twitter: @ketab_n

والكرب الشديدين، وهرع إلى تشيه كونج للحصول على نصحه فيما يتعلق بالخطوات التي يفترض به أن يتخذها كي يفلت من عقوبة الموت التي صارت مستحقة عليه من جراء فعلته. وعندما علم النائب بذلك، وافقه الرأي بالفعل على أن هذا الأمر قد انتحى منحى غير متوقع ولكنه أضاف: «لا داعي للقلق، فقد كنت تستجيب لأوامري ولذلك فأنا أتحمل المسؤولية الكاملة عن كافة الإجراءات التي اتخذتها أنت لاكتشاف القاتل».

وفي وقت لاحق من العصريّة وبينما أوشكت الشمس على الغروب والاختفاء خلف الجبال في الغرب، تسلل تشيه كونج خارجًا من مقر الحكم، متخفيًا في ثياب بائع جوّال، وقد حمل على ظهره أجزاء من أنواع المواد المختلفة. ولقد كان تخفيه وتنكره بارعين للغاية حتى أن أحدًا لم يرتب في أن ذلك الشخص هو نفسه الحاكم الأعلى للإقليم، الذي كان يحاول التحقيق في جريمة القتل التي ارتكبت مؤخرًا في عاصمته والعثور على أدلة وبراهين في تلك القضية الغامضة.

متجولاً من شارع إلى آخر، وصل تشيه كونج أخيرًا إلى أطراف البلدة، حيث كانت المنازل بعيدة عن بعضها بعض وكانت الكثافة السكانية في الشوارع أقل. وفي ذلك الوقت

Twitter: @ketab_n

كان الظلام الدامس قد بدأ يسدل أستاره على المكان، ولذلك فقد طرق على باب منزل يربض منفرداً على غير مقربة من كافة المنازل الأخرى. وانفرج الباب عن وجه عجوز ذات ملامح مريحة وهادئة وفي عينيها نظرات الأم الحنون وهي تسأله في صوت رقيق حنون عما يريده.

فأجابها قائلاً: «لقد تجرأت على المجيء إلى منزلك ويحدوني الأمل في موافقتك على السماح لي بالإقامة هذه الليلة، فأنا غريب عن هذه الديار». وواصل حديثه قائلاً: «ولقد قدمت إلى هنا وسافرت بعيدًا عن بلادي كي أبيع هذه الأقمشة، وسرعان ما أسدل الظلام أستاره ولف المكان في غياهب الحلكة ولا أعرف أين أقضي ليلتي، لذا فإنني أتوسل إليك بأن تسمحي لي بالدخول، وليكن معلوماً لديك أنني لا أبغي إحسانًا وإنما أنا على أتم الاستعداد لأن أدفع مقابل المتاعب التي قد أسببها لك مقابل مبيتي هنا هذه الليلة، وفي الصباح الباكر، وفي الوقت الذي قد تختارين، سأواصل مسيرتي وسأرفع عن كاهلك مشقة بقائي عندك».

فردت عليه العجوز: «أيها الرجل الطيب أنا على أتم الاستعداد لاستضافتك عندي لقضاء الليل، ولكني أخشى أنك قد تتعرض

Twitter: @ketab_n

لبعض المضايقات من ابني عندما يعود إلى المنزل في وقت لاحق من مساء اليوم».

ولكن الجوّال ردّ عليها: «لا تخشي شيئاً سيدتي فإن عملي يفرض عليّ التعامل مع كافة أنماط البشر، وعادة ما ألتقي أشخاصاً من مختلف الفئات، وأتمكن دائماً من التعامل معهم جميعًا، وقد أتمكن من فعل الشيء نفسه مع ولدك».

وبابتسامة هادئة حنونة، اقتادته السيدة إلى غرفة صغيرة بالقرب من غرفة المعيشة. تملك التعب من تشيه كونج وغلبه الإرهاق، فما إن وقع نظره على ذلك السرير الموجود في ركن الغرفة حتى ألقى بنفسه عليه، وشرع في التفكير واسترجاع خططه لحل لغز الغامض المحيط بجريمة القتل، حتى غلبه النوم سريعاً من شدة الإرهاق وغط في نوم عميق.

وفي منتصف الليل، استيقظ تشيه كونج على صوت حديث في الغرفة المجاورة وسمع الأم تقول: «أريدك أن تتوخى الحذر في التعامل مع ذلك البائع الجوّال، وألا تكلمه بفظاظة. فعلى الرغم من هيئته العادية البسيطة إلا أنني على يقين من أنه رجل محترم، كما يبدو من أسلوبه في الحديث مما ينبئ برفعة أصله. وفي البداية، لم أرغب بحق في استضافته، إذ أيقنت أنك قد تعترض

Twitter: @ketab_n

على ذلك، ولكن ذلك المسكين كان يبدو عليه الإرهاق الشديد وكان الظلام الدامس قد بدأ في الحلول، وأخبرني أنه ما من مكان آخر يمكنه الذهاب إليه، وهكذا فقد وافقت على السماح له بالبقاء وقضاء الليلة فحسب، فقد أخبرني بأنه، ومع أول خيوط الصباح، سيواصل مسيرته وتجواله».

سمع تشيه كونج صوتاً آخر أدرك على الفور أنه صوت الابن: «تعرفين كم أمقت تواجد الغرباء بمنزلنا، ولكن لن يسعني سوى الذهاب لإلقاء نظرة عليه والتحقق من أمره».

وبالفعل، حمل الابن المصباح، واقترب من الموضع الذي يرقد فيه تشيه كونج، مسلطاً الضوء على وجهه، ونظر إليه باستغراب ومخالب الفضول تنشب أظافرها في رأسه لفترة وجيزة. وما إن شعر الابن بالراحة والاطمئنان لوجه الزائر، صاح بصوت يسهل سماعه في الغرفة الأخرى قائلاً: «حسنًا لا مانع لدي، فالطيبة ترتسم على ملامحه ولا أرى ما يستدعي الخوف، فليبق إذن».

حينئذ أدرك تشيه كونج أن الوقت قد آن ليقوم بخطوته الأولى، فمدد جسده متثائباً كأنه على وشك الاستيقاظ من النوم لتوه، وجلس على حافة السرير ونظر إلى وجه الرجل الشاب وسأله عمن يكون.

Twitter: @ketab_n

وعندئذ أجاب الابن بود: «حسنًا، أنا ابن السيدة العجوز التي سمحت لك بالبقاء هنا هذه الليلة. ولأسباب معينة لا أحبذ فكرة تواجد الغرباء في منزلي، وقد عارضت بشدة في بداية الأمر تواجدك هنا، ولكن ما إن وقع نظري عليك حتى تبدّدت مخاوفي. ولا يسعني القول سوى إني أفخر بنظرتي الصائبة وفراستي في الحكم على الأشخاص كما أنك رقت لي. هلم معي إلى الغرفة المجاورة، لنتناول عشاء خفيفاً، فقد أخبرتني والدتي بأنك قد نمت من دون أن تتناول شيئاً من الطعام، لذا فلا شك أنك ترحّب بالانضمام إلي وتناول العشاء معي».

وفيما جلس الرجلان يتجاذبان أطراف الحديث أثناء تناول العشاء، زاد التقارب والود بينهما، وبدا جلياً إفراط الابن في تناول مشروب السام شو[1] الذي أخذ يصبه من الإبريق الساخن في كوب صغير مما أطلق لسان الابن في الحديث مع نديمه بصراحة تجاوزت ما عقد النية عليه.

من خلال خبرته الطويلة في التعامل مع مختلف طبقات المجتمع، سرعان ما أدرك تشيه كونج إلى أي نوع من الرجال ينتمي رفيقه، وشعر بأن هذا الابن قد يكون منجماً ثرياً يمكنه

(1) مشروب مسكر (م).

Twitter: @ketab_n

أن يستقي منه الكثير من المعلومات القيمة التي قد تساعده في التوصل إلى الحقائق التي يسعى إليها ليكشف ذلك الغموض الذي يكتنف قضيته.

مد تشيه كونج نظره عبر المائدة إلى وجه الابن، المتورّد بفعل ذلك المشروب الروحي الذي أكثر من تناوله، وألقى نظرة خاطفة على الغرفة، كأنه يخشى من أن شخصًا ما قد يستمع إليهما، اقترب تشيه كونج من الابن بحذر وأردف إليه بصوت خفيض قائلاً: «أريد أن أخبرك سرًا كبيرًا، فلقد أفضيت بمكنون قلبك لي، والآن سأفعل معك الشيء نفسه، وها أنا ذا أعترف لك بأني لست بائع ملابس جوّال، ولكنني تنكرت في هذا الزي كي أخفي مهنتي الحقيقية، والتي لا أريد أن يعرفها أحد».

وعندئذ عاجله الابن قائلاً: «هل لي أن أسأل عن طبيعة هذا العمل المخجل الذي تقوم به لدرجة أنك لا ترغب في الإفصاح عنه لأحد؟».

فأجابه تشيه كونج: «حسنًا، أمتهن ما يمكنني أن أطلق عليه مسمى اللص الشريف».

فتمتم الابن في استغراب: «اللص الشريف؟ لم أسمع قط عن

Twitter: @ketab_n

ذلك من قبل، هلا أخبرتني ما يعنيه ذلك؟».

فأردف الضيف مجيباً: «حسنًا سأخبرك بمكنون الأمر، أنا لست لصًا عاديًا يستولي على أموال الآخرين ويسرقها لمصلحته الشخصية. فأنا لا أسرق قطّ لنفسي. وإنما أبحث عن من يكسبون الأموال من دون وجه حق، ثم أعمل ببعض الطرق التي أجيدها، على حرمانهم من بعض من تلك المكاسب غير المشروعة التي سلبوها من الآخرين وأوزعها على المحرومين. وبذلك فأنا ألحق العقوبة المناسبة بالمذنبين، وفي الوقت نفسه ألبّي احتياجات من عانوا الظلم والقهر على أيديهم».

وعندئذ أجابه الابن قائلاً: «أنا مندهش مما تقول، على الرغم من أنني لا أصدق أنك لا تأخذ حصة من الغنيمة التي تحصل عليها، ولكن بما أنك أفضيت لي بسرك وأخبرتني بمكنون صدرك فسأخبرك بحقيقتي أنا الآخر. أنا لص حقيقي، وأنا أرعى أمي، التي لا تشك في هذه الحقيقة، وتقوم بتلبية احتياجات البيت مما أسرقه من الآخرين».

واصل الابن حديثه واصفًا بعضاً من المغامرات التي صادفها أثناء سطوه ليلاً على الغرف والمنازل التي كان يجد طريقه إليها سلفًا من خلال التجسس الحذر وبخاصة تلك المنازل التي غالباً ما تضم ما غلا ثمنه وخف حمله.

Twitter: @ketab_n

وفيما كان الابن يروي بعضاً من حكاياته، لمعت عينا تشيه كونج من الفرحة، فلقد سقط الرجل في الفخ الذي وضعه له بإحكام، وكان على يقين من أنه سيصل إلى حل لغز الجريمة التي يحقق فيها قبل حلول الليل. وعلى الرغم من مشاعر الاستياء وعدم الرضا التي انتابت تشيه كونج من سماع تلك التفاصيل الإجرامية المستفزة التي بدا رفيقه فخوراً بسردها أمامه، إلا أنه رغم صبره المعتاد، وحكمته الواسعة، وعبقريته الفذة، والتي جعلت منه أشهر من نار على علم بين رجال الدولة في كافة أنحاء الإمبراطورية، جلس تشيه كونج لساعات وهو يتحمل تلك الأحاديث البائسة الذي جرت على لسان ذلك اللص المحترف. ولكنه حصل على مكافأته وبغيته في الوقت المناسب.

فقد أخبره الرجل الذي امتهن السطو على المنازل لاسيما في ساعات الصباح الأولى بينما لا يزال ساكنوها يغطون في سبات عميق: «بالمناسبة، منذ فترة تعرضت لتجربة لن أنساها، ولأنني لمست طيب معشرك، فسأرويها لك إن لم تر أن الوقت قد تأخر على فعل ذلك».

وعندئذ قال الضيف: «بلى، يسعدني الاستماع إليك، فأنا ممنون للغاية بذلك الوصف الحي الرائع لما خضته من مغامرات،

Twitter: @ketab_n

وفي واقع الأمر، أنت تستحق أن تصنف ضمن أبطال التاريخ الذين اشتهروا بالإقدام والجـرأة، أرجـوك واصل حديثك، وأخبرني بأدق التفاصيل الخاصة بتلك التجربة الفريدة».

واصل الرجل حديثه قائلاً: «حسنًا، في ذات مرة خططت بدقة لزيارة منزل بعينه يقع خارج أسوار المدينة. وكان الدخول إلى ذلك المنزل من دون أن يراني أحد سهلاً للغاية ، فهو يقع ذلك المنزل في شارع هادئ يقل فيه المارة بعد أن يسدل الليل أستاره. وكانت أجواء الكآبة الموحشة تنشر أجنحتها بعد وقت الغروب، وكانت الأسوار العالية المحيطة بالمنزل تلقي بظلالها الثقيلة على أركانه، وكأنها أشباح تعيسة تجول وتصول لتتحرش بالغافلين وتنزل الخوف في ضعاف القلوب وتثير في نفوسهم الكآبة».

«تجاوز الوقت منتصف الليل بقليل، عندما سرت بخطوات مختلسة في تلك الشوارع الضيقة، وحاولت قدر الإمكان أن أتخفى خلف ظلام المنازل الحالك. وكان ساكنو كافة المنازل يغطون في نوم عميق ويلفهم الهدوء والسكينة، وكان جل ما أزعجني حقًا في تلك الليلة الهادئة هو تلك الكلاب التي كانت أذكى من أصحابها والتي ارتابت في أنني قد جئت لغرض شرير، وأخذت في النباح الهادر ولم تكتف بذلك،

Twitter: @ketab_n

بل نشبت أظافرها في ساقي. وعلى الرغم من ذلك، فقد تمكنت من الهروب والوصول أخيرًا إلى المنزل الذي كنت أنوي سرقته».

«ما إن اقتربت من المنزل، حتى فوجئت بذلك الضوء المتسلل من الداخل. وكان هناك أمر آخر لم أفهمه، فقد كان ذلك الباب الجانبي الذي نويت الدخول منه إلى داخل المنزل غير مغلق المزاليج، بل كان مواربًا بحيث يمكن لأي لص مبتدئ الدخول من خلاله. وعندئذ خلعت حذائي وسرت على أطراف أصابعي عبر تلك الساحة المرصوفة بالحجارة في اتجاه الغرفة التي يتسلل منها الضوء. وحاولت الاختباء خارج النافذة، حيث أرى كل شيء من دون أن يكتشف أحد وجودي».

«ما إن اقتربت من تلك الغرفة، حتى هالني المشهد، فقد رأيت امرأة في زهاء الثلاثين من عمرها تجلس وحيدة على الطاولة، بينما ترتسم ملامح الانزعاج الشديد والتجهم على وجهها، وكانت عيناها تبرق بالحنق المكبوت بداخلها كما لو أنها تعرضت لظلم بيّن، والرغبة في الانتقام تملأ ناظريها، وما إن بادرت نفسي بسؤال عن الوقت الذي سأتمكن فيه من متابعة مهمتي الخاصة حتى سمعت الباب الجانبي يصفق بقوة، وسمعت خطوات ثقيلة

Twitter: @ketab_n

متأرجحة لشخص يبدو تحت تأثير مشروب السام – شو.

«وفي تلك الأثناء، آثرت أن اقترب قليلاً من النافذة، وعندئذ شاهدت رجلاً يقترب من الغرفة التي كانت المرأة تجلس بها، وركل الباب بقدمه ليفتحه محدثاً ضجة هائلة، وبعدها سقط على الأرض راقداً دون حراك. بدا الرجل هزيلاً مائلاً إلى النحافة بعض الشيء في حين بدت زوجته قويةً فارعةً. نظرت المرأة بازدراء إلى الرجل المسجّى على الأرض، ثم حملته ومددته على السرير المفروش في ركن الغرفة.

«ثم عادت إلى كرسيها، وهي ترمق زوجها البائس بنظرات تمتلئ بالشر والكراهية، حينئذ رحت متسائلاً عن نهاية ذلك المشهد المثير، ولم تمهلني المرأة وقتاً للتفكير، إذ رأيتها في تلك اللحظة تنهض متوجهةً نحو خزانة تناولت منها إبرة ربما يصل طولها بوصتين أو ثلاث بوصات. ثم خلعت عن زوجها ملابسه، وسحبت مطرقة كانت على الطاولة، وأغمدت الإبرة في سرته واستمرت في الطرق عليها بالمطرقة حتى اختفت الإبرة تمامًا في لحمه دونما أثر للعيان».

«وفي تلك الأثناء أطلق الرجل المخمور صرخة هائلة تنم عن ألم حاد وتشنج على السرير متلوياً في حركة هستيرية، ليرقد دون

Twitter: @ketab_n

حراك مطلقاً».

«من هول الموقف، شل الخوف أطرافي خشية أن أكون شريكاً في هذه الجريمة، فأسرعت إلى خارج المنزل مطلقاً ساقاي للريح مخترقاً الظلام الدامس ومن دون أن أتوقف للحظة واحدة لأنظر خلفي، وحين وصلت إلى منزلي كنت أرتعد خوفًا من ذلك المشهد المروع الذي شهدته لتوي».

«مع هذا، كان الجانب الوحيد المسلي من هذه القصة في ذلك التحقيق الذي أُجري في اليوم التالي حول جثة الزوج حيث كنت حاضرًا وشهدت الموقف بأكمله وأنا غارق في الضحك داخل نفسي على ما جرى أمامي فقد كان ذلك المحقق بملامحه الجادة الصارمة يطبق كافة القوانين المعتادة فيما يتعلق بمعاينة الجثة بحثًا عن دليل يثبت تعرض الرجل لجريمة قتل. وكان قاضي المدينة يستجوب الزوجة ويتوعدها لتقر بالدور الذي لعبته في تلك المأساة. وكانت الزوجة تنتحب وتتنهد بينما تسيل الدموع على وجنتيها، ضارعةً يديها للسماء لتظهر براءتها من دم زوجها. لقد كانت مهزلة بحق، بطلتها تلك الزوجة المدعية لأنها مثلت دورها على خير وجه، إذ لم تشب شائبة ما قدمته من دلائل و لم تكن هناك ولو علامة واحدة على

Twitter: @ketab_n

جسد الزوج تدينها في الجريمة».

«وربما كانت بضع كلمات مني لتحل الأمر في لحظة، وترفع الكثير عن كاهل قاضي المدينة الذي اعتراه الحزن الشديد نظرًا للمسؤولية التي يتحملها أمام القانون، مما دفعه لمعاينة الجثة من دون أن يكتشف أي دليل للإدانة، ربما أرحته من هذا الهم الثقيل لو أنني فقط همست بجملة صغيرة في أذنيه».

وقاطعه الضيف قائلاً: «أنا أرى أنه من واجبك أن تذهب غدًا إلى مقر الماندرين لتروي قصتك إلى قاضي المدينة كي تفلت من العقاب».

أجاب الرجل على الفور: «لم أكن لأفعل ذلك مطلقًا، ماذا تظن سيحدث لي إذا ما فعلت ما تخبرني إياه؟ أنا لص أتكسب من السرقة، ولقد كنت في المنزل ليلة مقتل الرجل بغرض السرقة، وسينكشف أمري إذا ما أدليت بالدليل الذي أعرفه. وماذا سيحدث لي بعد أن أثبت جريمة القتل؟ من المؤكد سيزجون بي في السجن، وقد أضطر إلى البقاء هناك لسنوات عدة، فمن قد يدفع كفالة لص؟ وعندها ستموت أمي المسكينة جوعًا وقد تضطر للخروج إلى الشارع طلبًا للمساعدة وتمد يدها لتستعطف الجميع ليرأفوا بحالها ويمنحوها إحساناً، أو قد تظل طوال اليوم

Twitter: @ketab_n

تدور من باب إلى باب من دون طائل. إنه المستحيل بعينه أن أتدخل في هذه القضية».

وعند سماعه لتلك الكلمات، أدرك تشيه كونج المصاعب التي قد يواجهها الرجل للإدلاء باعترافه وصعوبة موقفه، وعلى الرغم من ذلك فمن دون وجود الدليل والشهادة التي سيدلي بها السارق سيكون من المستحيل إدانة المرأة بالجريمة التي ارتكبتها. وعندها فكر تشيه كونج سريعاً في خطة ظن أنها قد تذلل جميع الصعاب التي قد تقف في طريق الاستعانة بالسارق كشاهد على جريمة القتل.

ونظر تشيه كونج إلى الرجل وبادره بالحديث قائلاً: «لقد أمضيت ليلة رائعة معك، أشكرك على حسن استقبالك وضيافتك الكريمة لي، وأنا أشعر بداخلي برغبة قوية في تعميق أواصر الصداقة التي جمعتنا بكلمات أكبر مما يمكن للكلمات أن تعبر عنه، لذا فأنا أقترح عليك أن تصبح أخي بالقسم، فإذا حل بأحدنا أي ضرر في المستقبل سيكون على الأخ الآخر أن يساعده فيما وقع فيه وألا يتوانى عن بذل الغالي والنفيس في سبيل مساعدته وإنقاذه حتى ولو تعرض في سبيل الوفاء بذلك للموت الحتمي».

Twitter: @ketab_n

وعندئذ نظر إليه الشاب متعجبًا من ذلك العرض غير المتوقع، ولكن تلك النظرة المفاجئة والبريق اللامع في عينيه والابتسامة التي اعتلت وجهه كشفت عن أن ذلك الأمر يروق له كثيراً».

وأجاب الشاب بسرعة: «تسعدني الموافقة على هذا العرض الكريم، ولكن متى ستتاح لنا فرصة الذهاب إلى المعبد وتسجيل قسمنا أمام الإله؟».

وأجابه تشيه كونج قائلاً: «نحن لسنا في حاجة للذهاب إلى المعبد، فتمثال الإله الذي تحتفظ به أسرتك والموضوع هناك أمامنا سيكفي لأداء هذه المهمة. أعطني قلمًا وورقة وسوف أكتب بنود حفظ أواصر الأخوة التي بيننا وأقدمها إلى الإله».

وفي خلال بضع دقائق، انتهى تشيه كونج من الكتابة بما يتفق مع لوائح القانون الملزمة للأخوين بالقسم. ولذا أقسم تشيه كونج ورفيقه اللص أغلظ الأيمان، على مساعدة بعضهما بعض في أحلك الظروف القاسية التي قد تواجه أي منهما في المستقبل، مما يحتم على كل منهما الاستجابة إلى نداء الآخر، بحيث أنه ما من خطر أو تهديد على الحياة يمكن أن يعوق أي منهما عن الاستجابة إلى نداء الآخر متى سمعه. ويجب على كل منهما النظر إلى مصلحة الآخر باعتبارها مصلحته، وما دام حيًا

Twitter: @ketab_n

لا يجوز له تجاهل نداء الآخر للمساعدة أو التخاذل عنه».

ولإثبات جدية هذا الاتفاق وأنه ليس مجرد نزوة وليدة اللحظة، كان لابد من قراءته على مسامع الإلهة المتواجدة بالمنزل والتي كانت إلهة الرحمة، لتكون شاهدًا أبديًا على ما حدث، والتي تستطيع استخدام ما لديها من القوى غير المرئية لتلحق الأذى وتنزل عقابها بمن يحنث بهذا القسم. ووقف تشيه كونج أمام محراب الإلهة المقدسة وقرأ بنود العقد، كلمة بكلمة، بنبرة رخيمة وهادئة تتناسب وقدسية المناسبة. ثم حرق الورقة في المصباح من دون أن يشتت شيء آخر بصرهما حتى لم يتبق منها سوى الرماد. عندئذ أدرك الرجلان أن الإلهة قد تقبلت عهودهما واحتفظت بتلك العهود في سجلّ خاص في أقصى بقعة من الفردوس الغربي باعتبارها عهوداً مشفوعة بقسم أُطلق في حضرتها في تلك الساعات الأولى من الصباح.

وما إن جلسا ثانية حتى تفرّس تشيه كونج بأخيه الجديد وقال له في نبرة مسيطرة: «لقد أصبحنا الآن أخوين بالقسم، ولا أستطيع الاستمرار في خداعك أكثر من ذلك، فأنا لست بائعًا جوالاً أو لصًا شريفًا بالمعنى الذي فهمته، الواقع هو أنني تشيه كونج نائب الملك في هذا الإقليم».

Twitter: @ketab_n

وما إن سمع الرجل اسم الماندرين العظيم الذي كان ذكر اسمه كفيل بإثارة رعب وهلع أعتى المجرمين والأشرار، حتى جثا على ركبتيه أمامه وجميع فرائصه ترتعد خوفاً وهلعاً، وأخذ يضرب رأسه بالأرض طالباً منه الرحمة والمغفرة.

وحين رأى تشيه كونج هذا المشهد، لم يتمالك نفسه من الإشفاق على الرجل فأخذه برفق من يديه، ورفعه من على الأرض، وأوقفه قبالته طالباً منه أن ينحي مخاوفه جانبًا قائلاً: «أنت الآن أخي ولقد أقسمنا لتونا أمام الإلهة على الدفاع عن بعضنا بعض حتى الموت. ومن دون شك، سأؤدي جانبي من القسم، ومنذ هذه اللحظة تقرر مصيرك، أما عن أمك التي استقبلتني استقبالاً حافلاً فمن دواعي سروري أن أوفر لها احتياجاتها ما دامت على قيد الحياة».

وما إن سمع الشاب هذه الكلمات، حتى تماسك ململماً شتات نفسه. وأصدر تشيه كونج أوامره بإعادة التحقيق، إذ ظهر الابن الشاب وأدلى بشهادته مما أفاد بإدانة تلك الزوجة الشقية وباستحقاقها للعقاب.

Twitter: @ketab_n

كوانج جوي وإله النهر

تشتهر الصين بأنها بلد الكثافة البشرية التي تكدح وتكافح بشكل مستمر ودائم في سبيل الحصول على ضروريات الحياة اليومية. ولا يحصل عامة الناس أبداً على ما يكفي حاجتهم من الطعام، ولكن الرضا بما تمنحه لهم السماء قدر مكتوب لا يسعهم الاعتراض عليه، وما أبلغ سعادتهم عند الحصول ولو على وجبتين فقط في اليوم يسدون بهما غائلة الجوع الذي ينهش فيهم وفي أطفالهم.

وكثيرون هم من لا يوفر لهم عملهم حتى وجبتين من الطعام، وهو ما يتضح من خلال جمعيات التسول المنظمة، والتي يتم تأسيسها في كل المدن الكبرى في جميع أنحاء الإمبراطورية، هذا إلى جانب عدد هائل من المتسولين الذين يجوبون البلاد عبر الطرق السريعة والشوارع الفرعية بوجوههم الباهتة البائسة، وملابسهم الرثة المتهرئة، والذين يتكسبون من خلال العطايا التي يجود بها المحسنون طيبو القلب في أثناء مرورهم من قرية إلى أخرى.

Twitter: @ketab_n

وبغض النظر عن الأفكار التي قد تجول في خلد هؤلاء الفقراء، إلا أن الشعب الصيني شعب فُطر على تحمل الصعاب الهائلة وذلك الحرمان بشكل بطولي نادر وعدم الارتكان إلى الشكوى إلا قليلاً، كما لم تُسجّل عمليات السرقة انتشاراً يُذكر، حتى أن غائلة الجوع التي تنهش في بطون الرعاع الذين يثورون من شدة جوعهم لم تدفعهم لتنظيم أنفسهم في عصابات تنهب محلات الأرز ولا تسرق صوامع الغلال العامة.

وهناك سمة جميلة يتمتع بها الشعب الصيني كانت هي العامل الأهم في تحقيق استقرار البلاد تمثلت في الاقتداء بأكثر من مثل يُحتذى به يمس حياتهم العادية في كل اتجاه. فكل رجل في الإمبراطورية، غنيًا كان أم فقيرًا، متعلماً أم جاهلاً يكن الاحترام العميق لما يطلق عليه اسم تيان لي أو مبادئ الاستقامة الإلهية. ومن خلال هذه المبادئ، اعتاد الصينيون الحكم على كافة أفعالهم، كمعيار يقيس به الملوك والأمراء والأشخاص العاديون حسن سلوكهم، سواء فيما يتعلق بشؤون الدولة العليا، أو بالمشاغل الصغيرة في الحياة اليومية العادية.

وبالإضافة إلى ذلك، تملأ الرومانسية عقول الصينيين وترق نفوسهم بالشعر، فعالم ما وراء الطبيعة مأهول بالجنيات وبكافة

Twitter: @ketab_n

أنواع الأرواح الطيبة والشريرة، وهو مفهوم يهون عليهم بطريقة غريبة ذلك الركود الذي يحوم حول حياتهم البائسة الحزينة.

وقصة كوانج جوي هي مثال رائع على الإيمان العميق الذي لدى الصينيين بتدخل تلك الكائنات الغامضة في حياتهم لإنقاذ الناس من المصائب التي قد تحل بهم وتؤثر على مصائرهم.

وما إن تلتقي بكوانج جوي للمرة الأولى، حتى تعرف إنه يعيش مع أمه الأرملة في جزء بعيد من البلدة، فقد توفي والده منذ زمن، وصار كوانج جوي هو الشخص الوحيد الذي يعتمد مصير البيت عليه. كان كوانج جوي فتى مجتهداً ذا قدرات ملحوظة، مما أدى إلى تمكنه من اجتياز اختبارات الإمبراطورية كلها بنجاح حتى ذلك الاختبار الأخير الذي عقد في العاصمة، والذي ترأسه الحاكم بنفسه.

وبعد الاختبار النهائي، تجمع حشد كبير من الطلاب ينتظرون خارج القاعة إعلان أسماء أولئك الذين حازوا على رضا الإمبراطور. أتى معظم هؤلاء الناس انطلاقًا من شغفهم برؤية المراسيم الإمبراطورية، وللتعرف على الطالب النابه الذي سيتصدر اسمه أعلى القائمة. وفيما كانت الإثارة قد بلغت أشدها، وبدأت التكهنات حول مصير المرشحين الذين أتوا من

Twitter: @ketab_n

كافة أقاليم الإمبراطورية، ومن سينال مرتبة الشرف التي تراود أحلام وطموح كل دارس في طول البلاد وعرضها.

وفي النهاية ساد السكون، وخيم الهدوء على المكان، واحتبست الأصوات في الحناجر، فيما حضر أحد كبار المسؤولين في القصر متبوعاً بحاشيته من أحد الأبواب الرئيسية، والذي فتح عن مصراعيه. وفي صوت جهوري، شرع هذا المسؤول في قراءة القائمة التي معه، وكان أول اسم فيها هو كوانج جوي.

وفي تلك اللحظة بالتحديد وقع حادث كان من المقرر أن يغير مجرى حياة كوانج جوي تمامًا. فأثناء وقوفه أسيراً لمشاعر الفرح التي اجتاحته لما ناله من الشرف السامي بموجب المراسيم الإمبراطورية، ألقيت كرة صغيرة مستديرة مزينة بنقوش جميلة من نافذة بأعلى منزل يوجد بالجهة المقابلة، وأصابته في كتفه.

وقد يقودنا الحديث هنا إلى ما جرت العادة عليه منذ العهود الأولى في تاريخ الصين بالسماح لأي فتاة لديها تحفظات على اختيار أهلها لزوجها أن تستعين بما يطلق عليه اسم «إلقاء الكرة المطرزة» للعثور على الشخص الذي تقدر لها الآلهة الارتباط به. وكانت هذه الكرة تصنع من نسيج رقيق ملفوف بقطعة من الحرير الأحمر مطرزة بأشكال موشاة ومنقوشة، وقد اعتادت الفتيات

Twitter: @ketab_n

الراغبات في الزواج حبكها بأيديهن ومن دون أي مساعدة من أحد، وكانت تلك الكرة تعتبر رمزاً للحب لذي سيربط بين قلبي الزوج والزوجة. وكانت كل فتاة رومانسية تؤمن في قرارة نفسها بأن الرجل الذي ستصيبه الكرة هو الشخص الذي تختاره لها السماء زوجاً لها، وما كان الأبوان ليحلما قطّ برفض الشخص الذي يتم اختياره على هذا النحو.

وفيما كان كوانج جوي ينظر باستغراب إلى ذلك الرمز الذي كان يعي مغزاه تمام الوعي، أتى رسول من البيت الذي ألقيت منه الكرة وطلب منه باحترام ووقار أن يصطحبه إلى سيده صاحب الدار، الذي يرغب في مناقشة أمر هام معه.

وفيما دلف كوانج جوي إلى المنزل، فوجئ أن هذا المنزل يخص رئيس الوزراء، الذي استقبله بأدب وود، وبعد محادثة طويلة أجراها معه، أفصح رئيس الوزراء عن استعداده التام للرضوخ إلى مشيئة الآلهة، معلناً قبوله لكوانج جوي زوجًا لابنته ما دامت هذه هي مشيئة الآلهة. وبالطبع فوجئ كوانج جوي بجميع تلك الأبواب التي تفتحت أمامه على حين غرة. فكان ذلك اليوم بالفعل يوماً مميزاً بالنسبة له - واعتبره كوانج جوي بشرى خير، وأمل في أن يفتح الحظ له

Twitter: @ketab_n

أوسع الأبواب مستقبلاً. أيعقل هذا؟ في يوم واحد قصير، تم إعلانه بأنه أكثر الدارسين تميزًا في الإمبراطورية، كما قاده حظه لأن يصبح زوجًا لابنة أكبر المسؤولين في الإمبراطورية، والذي يتمتع بالقدرة على تعيين الأشخاص في المناصب العليا حيث يمكن لكوانج جوي أن يضمن الشرف العالي وكذلك الثروة التي تكفي لإبعاد غائلة الفقر والجوع عن منزله إلى الأبد.

وبما أنه لم يكن هناك أي سبب يدعو للتأخير، قام والدا الفتاة الجميلة التي ألقت الكرة المطرزة، والتي كانت السعادة تملأ محياها لأن السماء قد اختارت لها مثل ذلك الزوج المتميز، بعقد زواج كوانج جوي من ابنتيهما. وتواصلت الاحتفالات السعيدة بهذا العرس الجميل، وكلما كان كوانج جوي يخلو إلى نفسه ويفكر في تلك الأيام الهادئة المملة التي لم يكن فيها شخصاً مشهوراً ويقارنها بتلك الأيام التي يعيشها الآن تراءى له أنه يعيش في أرض الأحلام. فلم تتجاوز أكثر أحلامه جموحًا في الماضي نصف ما يراه في حياته الحالية، فلقد استطاع تخطّى الفقر النسبي إلى الشهرة والثراء بقفزة واحدة.

Twitter: @ketab_n

وبعد وقت ليس بطويل، وبتأثير وإيعاز من والد زوجته، وموافقة الإمبراطور الذي تذكر كم كان كوانج جوي دارساً متميزاً، عيّن الأخير حاكمًا لواحدة من أبرز ولايات وسط الصين.

اصطحب كوانج جوي زوجته معه ومرّ أولاً بمنزله القديم، حيث كانت والدته في انتظاره بشوق وشغف كبير للترحيب بابنها الشهير. وقد شعرت العجوز بالتوتر عند لقاء زوجة ابنها للمرة الأولى، فقد رأت أن الأخيرة تنحدر من أسرة أرفع مقامًا وأشهر من أي فرد في أفراد أسرتها. وبما أنه كان من الضروري أن يتقلد كوانج جوي منصبه في أقرب وقت ومن دون أي تأخير، بدأ هو وزوجته وأمه الرحلة الطويلة في غضون أيام قليلة إلى تلك الولاية البعيدة، حيث قدر لحياتهم أن يحوطها البؤس والتعاسة والشقاء.

وعندما قطع الموكب الجزء الأكبر من الرحلة، ووصل إلى بلدة بها سوق في الطريق، اعترى والدة كوانج جوي التي أنهكتها تلك الرحلة الطويلة مرض مفاجئ. وقد أومأ الطبيب الذي تم استدعائه برأسه آسفاً معلناً أن الأم تعاني من مرض خطير، وعلى الرغم من أن هذا الاعتلال قد لا يودي بحياة الأم، إلا أنه يتطلب

Twitter: @ketab_n

الراحة التامة لمدة شهرين أو ثلاثة على الأقل. وبالتالي يجب التخلي عن السفر في الوقت الحاضر، لعواقبه الوخيمة على صحتها.

وشعر الزوجان بالتعاسة الشديدة نظرًا لتصاريف القدر التي جعلت ذلك الحادث يضعهما في موقف حرج بينما حلا رحالهما في ذلك النزل الواقع على الطريق. أحس الزوجان بالأسى لما ألم بالأم من مرض مفاجئ، وشعرا في الوقت نفسه بالارتباك و لم يعرفا ماذا سيفعلان وأي الطرق سيسلكان في تلك الظروف البائسة. وكان الكتاب الإمبراطوري الذي صدر بتعيين كوانج جوي كحاكم للمقاطعة قد طالبه بتولي منصبه في وقت محدد. ومن المستحيل تأجيل ذلك الموعد حتى تشعر أمه بالتحسن ويستكمل الجميع الرحلة، ذلك أن عصيان أوامر الإمبراطور سيثير غضبه، وبعد التشاور في الأمر، استقر الرأي أخيراً، بناءً على اقتراح تفتق عنه ذهن الأم، بأن يتابع كوانج جوي وزوجته طريقهما إلى المقاطعة، وبعد أن يتولى مهامه هناك، يمكنه أن يوكل الأمر إلى أتباعه، وأن يرجع بعد ذلك لاصطحاب أمه إلى منزلها بعد أن تكون صحتها قد تحسنت بمرور الوقت.

Twitter: @ketab_n

قرر كوانج جوي التصرف بناءً على هذه النصيحة، على الرغم من تحفظه الشديد، ذلك أن آخر ما كان يرغب فيه هو أن يترك أمه المريضة في رعاية الأغراب. وبذلك فقد اتخذ كوانج جوي كافة الترتيبات اللازمة ليوفر لها سبل الراحة، وفارقها وتابع رحلته، بعد أن اطمئن إلى توفير الخدم المناسبين لرعايتها، وترك كمية مناسبة من المال لها، وما يكفي للوفاء بكافة متطلباتها في غيابه.

وقبل الرحيل، خرج كوانج جوي للتريض في سوق البلدة، وكانت الأفكار تعصف برأسه انشغالاً بحال أمه، وظلت الرغبات المختلفة تتقاذفه من يم إلى أخر وتتنازعه بين طياتها محاولاً التعبير عن قلقه على أمه وسعيه في ذات الوقت للقيام بأي شيء قد يدخل السرور على نفسها قبل رحيله، وبينما هو سائر تفتق ذهنه عن فكرة إسعادها بأن يشتري لها نوعاً معين من السمك كان يعرف مدى حبها له. وما إن ابتدرته تلك الفكرة بعد أن خرج مبتعداً عن ساحة النزل حتى التقى صياداً لديه أنواع نادرة للغاية من السمك التي كان يرغب في شرائها.

وفيما كان يناقش كوانج جوي السعر مع الرجل، لفت انتباهه أمر ما عجيب في هذا السمك، كانت هناك نظرة في

Twitter: @ketab_n

عين السمك تمتلئ بالرثاء والشفقة والتوسل. وكانت نظرات السمك معلقة عليه، كانت نظرات السمك تبدو وكأنها نظرات إنسان قوية وليست نظرات كائنات مثل السمك، كما لو كانت تتوسل إليه أن يقوم بأمر ما كي ينقذها من كارثة كبيرة قد تحل به. وهذا الأمر جعله يمعن النظر في تلك الأسماك بعناية، ولدهشته الشديدة فوجئ بأن عيون الأسماك الدامعة لا تزال معلقة به بشغف وتطلع، مما جعل الإثارة تدب في أوصاله وتدفع الدم الحار في عروقه.

عندئذ صاح كوانج جوي قائلاً: «أيها الصياد، أريد أن أشتري ذلك السمك، وإليك الثمن الذي طلبته، ولكن لي شرط واحد فقط لإتمام هذه الصفقة وهو أن تأخذ تلك الأسماك إلى النهر الذي اصطدتها منه وأن تحررها وتدعها تسبح في المكان الذي ترغب فيه. وتذكر أنك إن عجزت عن تنفيذ ذلك الجزء من الصفقة فسوف يحل الحزن والأسى عليك وعلى أفراد أسرتك».

وبالطبع لم يتبادر إلى ذهن أي من الرجلين أو مخيلتهما أن هذه الأسماك هي الإله الذي يسكن النهر، والذي أحال نفسه، لحاجة في نفسه، إلى هذه الصورة ليعلق بشباك الصياد فيما كان يسبح أعلى التيار وأسفله.

Twitter: @ketab_n

وواصل كوانج جوي وزوجته رحلتهما، وعقب عدة ساعات من السفر الشاق، وصل الزوجان إلى ضفة أحد الأنهار الرئيسية، حيث استأجرا قاربًا كبيرًا ليبحرا به نحو وجهتهما.

كان قائد القارب الذي استأجره الزوجان رجلاً وضيعاً للغاية، وعلى الرغم من أنه كان في الماضي طالب علم ينحدر من أسرة طيبة، إلا أنه كان فاسد الأخلاق ولا يتمتع بالصفات الحميدة والسلوك المهذب القويم، ولذلك فقد انحدرت مكانته من سيء إلى أسوأ في المجتمع، حتى اضطر في النهاية إلى أن يغادر وطنه إلى إقليم بعيد، وهناك اشتغل بمهنته الحالية لكي يتكسب منها عيشه. ويبدو أن ذلك الكم الهائل من الأموال التي كان كوانج جوي يحملها معه قد أشعل في الرجل أبغض المشاعر وأسوأها، وفيما كان القارب يسير الهوينى في الماء تتقاذفه نسائم النهر الهادئة ويحيط به المد المتدفق بسلاسة، أخذ قائد القارب يفكر بينه وبين نفسه في كيفية الاستيلاء على هذا المال. وفي الوقت الذي وصل فيه القارب بركابه إلى المكان الذي كان يفترض بهم الرسو فيه في خلال الليل، كانت الفكرة الشيطانية قد اختمرت في رأس قائد القارب واتخذ قراراً بالفعل بشأن الخطوات التي سيكون عليه اتباعها لتنفيذ مخططه الجهنمي بالاستيلاء على أموال كوانج جوي.

Twitter: @ketab_n

وبعد منتصف الليل بقليل، وحسب الخطة المرسومة في ذهنه، تسلل قائد المركب بحذر نحو المكان الذي كان كوانج جوي ينام فيه، واستلّ سكينه بسرعة، وطعنه في قلبه طعنة غائرة أودت بحياته، وألقى بجثته في النهر المتدفق بسرعة، وحينما همت زوجة كوانج جوي بالصراخ والاستغاثة هدّد قائد المركب الزوجة بأنه سيقتلها إن هي تفوهت ببنت شفة، وأنه لن يتورع عن إرسالها إلى حيث أرسل زوجها من قبل لتلقى حتفها هي الأخرى، وتتمكن من لقاء زوجها المتوفى في أرض الأرواح. ومن هول الموقف، شلّ الرعب أوصال الزوجة ولم تستطع حراكاً، كما لم تقدر على التفوه بشيء اللهم إلا ذلك البكاء المختنق وتلك التأوهات التي صدرت عن قلبها المنفطر حزناً على زوجها الراحل. وكانت أولى الأفكار السوداء التي عصفت بذهنها وتلاعبت برأسها هي أن تقدم على الانتحار، وكادت بالفعل تهم بإلقاء نفسها في الماء الثائر بجانب دفتي القارب، إلا أن الفكرة التي استأثرت بعقلها وكبحت جماح غضبها واستولت على تفكيرها تماماً هي أنها إن قتلت نفسها وقضت نحبها فمن ذا الذي سيثأر لمقتل زوجها، وكيف أنها لن تتمكن البتة من الانتقام لزوجها أو من إنزال العقاب المستحق بذلك الشرير الذي قتله.

Twitter: @ketab_n

و لم تكن الخطة الشيطانية التي تفتق عنها ذهن قائد المركب تكتمل أركانها بوقوع جريمة سرقة عادية وينتهي الأمر عند هذا الحد، بل كانت الخطة التي دارت بخلد الرجل عندما ارتكب جريمته الشنعاء أكبر من ذلك بكثير، فلقد لاحظ أنه يشبه ضحيته لجهة الشكل الخارجي إلى حد كبير، ولذا فقد فكر في أن ينفذ مشروعه الجريء في أن يقدم نفسه باعتباره كوانج جوي، الشخص الذي وقع اختيار الإمبراطور عليه ليكون حاكم الإقليم. وبعد أن هدّد الزوجة بأنها ستلاقي الموت على الفور إن هي تفوهت بكلمة إلى أي كائن على وجه البسيطة حول حقيقة مخططه الشيطاني، وبعد أن ارتدى ملابس الشخص الذي طعنه حتى الموت، ظهر قائد المركب في مقر الحكم، حيث قدم أوراق اعتماده الإمبراطورية وتم تعيينه على الفور. و لم يكن يخطر ببال الرجل أن الخوف والجبن لم يكونا السبب الحقيقي وراء التزام الزوجة الصمت حيال مخططه الشيطاني هذا، وإنما كان هو ذلك القرار الذي اتخذته وينم عن شجاعتها وإقدامها الذي دفعها إلى أن تقوم بدورها لكي تتأكد من الانتقام من الرجل الذي سلبها زوجها الذي رأت أنه هبة السماء لها.

Twitter: @ketab_n

وفي اللحظة نفسها التي ألقيت فيها جثة كوانج جوي في الماء، أرسل إله النهر قارب الدورية المكلفة بالتأكد من استتباب الأمور داخل حدود مملكته والقيام بجولتها الروتينية، وبناءً على أوامر إله النهر أسرعت الدورية إلى حيث تم إلقاء جثة كوانج جوي وانتشلتها وأرسلتها بسرعة لتكون في حضرة إله النهر بنفسه.

ولهنيهة من الوقت بدت دهـراً، نظر إله النهر إلى الجثة المسجاة أمامه، ثم استطرد قائلاً بصوت مشوب بالشفقة والعطف: «عجباً، لقد كان هذا الرجل هو نفسه الذي قدم إليَ أمس يد المساعدة وأنقذ حياتي بعد أن كنت معرضًا للموت الحتمي! والآن واتتني الفرصة لأعبر له عن امتناني لحسن صنيعه، من خلال استغلال كل ما أوتيت من قوة لخدمة مصالحه. واستطرد إله النهر قائلاً بصوت جهوري: «احضروا هذا الرجل إلى الكهف الكريستالي وليلتف من حوله فقط كل أولئك الذين خدموا بلادهم، إني أدين لهذا الشخص بالمعروف، ذلك أن صنيعه الذي فعله بالأمس معي لم يقم به أي شخص آخر من قبل. لقد أنقذ هذا الرجل حياتي، وعلى هذا الأساس فقد قررت أن أشمله بعطفي وأتعهده برعايتي حتى تدور عجلة القدر ثانية، وعندما يحل انتقام السماء بقاتله، فسوف ينضم

Twitter: @ketab_n

هذا الرجل إلى زوجته ثانية ويوطد معها مرة أخرى أواصر المحبة التي قطعها القاتل إربًا بلا رحمة ولا هوادة».

ومرت الأيام والشهور، ووضعت زوجة كوانج جوي صبيًا كان يشبه أباه تمامًا. وشاء القدر أن تحين ولادة الطفل في ظلمة الليل البهيم وبعد أن أسدلت تلك الظلمة أستارها الكثيفة على جميع أرجاء المكان، ومر وقت قصير على ولادة الطفل، تناهى إلى الأسماع صوت غامض لم يستطع أحد أن يقتفي مصدره يقول بوضوح: «لتبعدوا الطفل عن مقر الحاكم في الحال قبل عودة الحاكم وإلا فإن حياته لن تكون في أمان».

وهكذا في اليوم التالي مباشرة، لفت الأم وليدها، الذي بدا وأن السماء ذاتها قلقة بشأن مستقبله وحياته، في العديد من الأغطية لحمايته من الطقس السيئ، ودست في لباسه الداخلي مستنداً صغيراً يحوي القصة الدرامية الكاملة عن مأساة هذا الطفل، والخطر الذي يتهدد حياته من ذلك العدو الطاغي. وبحثت الأم الثكلى وفتشت في دهاليز عقلها عن وسيلة تستطيع عن طريقها التعرف بها على وليدها، حتى مع مضي السنين، و لم يتفتق ذهنها في ذلك الوقت سوى عن وسيلة واحدة، فقامت لتوها بتنفيذها وهي تذرف الدمع الغزير، ولملمت الأم شتات

Twitter: @ketab_n

نفسها واستجمعت أوصال شجاعتها وهي تقوم بقطع مفصل من إصبع الوليد الصغير بيده اليسرى، وبعد الانتهاء من تلك المهمة القاسية على قلبها، ودّعت الأم المكلومة وليدها بالدمع الثخين والتنهدات المملوءة بالحسرة، وانفطر قلبها حزناً وهي تلقي على وجه صغيرها النظرة الأخيرة.

وفي تلك الأثناء، كانت هناك خادمة وفية، ائتمنتها سيدتها على حياة طفلها، تقف خارج الغرفة في انتظار استلام المولود، وبالفعل تمكنت من الهرب بالطفل عبر الممرات السرية للمنزل، وفي النهاية اقتادت الطفل إلى ضفة النهر. وهناك ألقت نظرة أخيرة على هذه اللفافة الغالية التي تحوى جسد الطفل الصغير الملقاة بجوار الشاطئ، والتفتت يمنة ويسرى للتأكد من عدم وجود أي خطر يتهدد الوليد، ثم ودعته بنظرة حانية، وهرعت في اتجاه المدينة، وبكاء الصغير الواهن لا يزال يتردد في أذنها.

والآن أصبح مصير الرضيع في أيدي السماء، وبات ذلك جليًا حينما عثر عليه بعد دقائق معدودة رئيس الدير الذي يقع أعلى التل المجاور، حيث قادته قدماه بالقرب من النهر. وبينما هو سائر سمع بكاء طفل صغير، فهرع باتجاه الصوت، والتقط اللفافة الصغيرة فوجد بداخلها الطفل الرضيع، فأدرك أن هذا

Twitter: @ketab_n

الطفل لقيط، فحمله إلى الدير واتخذ الترتيبات اللازمة لرعايته والعناية به. ولحسن الحظ كان ذلك الرجل طيب القلب، وكان بحق أفضل من على وجه البسيطة لرعاية هذا الطفل البائس.

مرت ثمانية عشر عامًا كاملة. وكبر الطفل الذي تُرك وحيداً على ضفة النهر وأضحى شابًا يافعاً وسيمًا. ومنذ ذلك الوقت الذي مسّ بكاء الطفل الصغير قلب رئيس الدير، انشرح له صدره وصار صديقًا حميماً له حتى بلغ هذا السن، ونما حبه للطفل الصغير بمرور السنين. وأصبح هذا الولد بمثابة ابنٍ له، وكي يضمن رئيس الدير أن هذا الطفل الصغير لن يفارقه البتة علمه آداب خدمة المعبد، وبذلك أصبح الطفل الصغير عندما كبر قساً مؤهلاً لخدمة الآلهة.

وذات صباح أتى هذا الشاب الذي أطلق عليه اسم سام شوانج إلى رئيس الدير وعلى وجهه نظرة غاضبة متسائلة، وتوسل إليه كي يخبره من هي أمه ومن هو أبوه. وشعر القس الهرم الذي كان على علم بقصة مقتل كوانج جوي المأساوية أنه قد حان الأوان ليخبر الشاب بما كان يخفيه عنه. وقرّر رئيس الدير إزاحة الستار عن المستند الذي كان قد وجده في لفافة الطفل الصغير وقرأه له فانكشف السر العظيم. وبعد ذلك دارت مناقشة طويلة

Twitter: @ketab_n

وجادة بين الاثنين حول أكثر السبل حكمة لتقديم الحاكم إلى العدالة ولإنقاذ أم الشاب من موقفها المذل الذي تحملته بشجاعة وبطولة خارقة على مدار ثمانية عشر عامًا كاملة.

وفي اليوم التالي، حلق القس الشاب شعره، وارتدي ملابسه العادية التقليدية، وذهب إلى مقر الحاكم لجمع تبرعات للدير المجاور. وبما أن الحاكم لم يكن موجودًا وكان في عمل عام، تم اقتياده إلى غرفة الاستقبال حيث استقبلته أمه التي كانت دائماً ما تقوم بأعمال الخير الداعمة بقوة لإلهة الرحمة.

وما إن وقعت عينا الأم على ذلك الراهب الشاب الرائع حتى شعرت بقلبها يخفق بقوة كما لم يحدث من قبل، وعندما لاحظت أن الإصبع الصغير في يده اليسرى مقطوعاً عند المفصل الأخير، ارتجفت واجتاحتها مشاعر الشوق والحنين إلى طفلها.

وبعد أن تبادلت معه بضع كلمات حول سبب الزيارة وضع القس الشاب الورقة التي كانت قد كتبتها منذ ثمانية عشر عامًا في راحة يديها، ونظرت الأم المندهشة إلى خط يدها في الورقة ثم نظرت إلى ذلك الشاب الذي يشبه كثيرًا الرجل الذي اختارته زوجاً لها عن طريق إلقاء الكرة المطرزة عليه، واشتعلت مشاعر الأمومة الفطرية في داخلها وأيقنت أن هذا الشاب اليافع هو

Twitter: @ketab_n

ابنها بالفعل. وانطلقت فرحة المرأة الغامرة فيما هي تنظر إلى وجه سام شوانج الذي انعكست فرحتها في عينيه اللتين برقتا ونظرته السعيدة المتألقة التي غمرتها.

وبعد أن انسحبت الأم لبرهة، عادت ومعها خطاب أعطته لابنها، وبصوت منخفض أخبرته أن يوصل هذا الخطاب إلى أبيها، الذي لا يزال يعيش في العاصمة، وعليه أن يوصله له دون تأخير. ولمنع الريبة من أن تتسلل إلى الحاكم، تفتق ذهن الراهب عن خطة للتمويه وفيها يسافر الشاب على أنه راهب يحاول جمع تبرعات للدير. وعليه أن يتأكد كذلك من زيارة المكان الذي ترك أبوه فيه جدته، وأن يحاول أن يعرف ما الذي حل بها. ولتغطية نفقات رحلته، أعطته الأم بعض من سبائك الذهب التي سيكون في إمكانه أن يستبدلها بالأموال من المصارف الموجودة في الطريق.

وعندما وصل سام شوانج إلى النزل الذي فارق فيها أبوه جدته، لم يعثر على أي أثر لها. فلقد صار للمكان مالك جديد، لم يسمع إطلاقاً باسمه من قبل. ولكنه عندما تحقق من الأمر بين أصحاب المحال المجاورة هاله ما عرف، فلقد صارت الجدة الآن عضواً في معسكر الشحاذين، وكان اسمها مدرجًا بين هذه الطائفة الذليلة.

Twitter: @ketab_n

وما إن وصل الراهب إلى ذلك الفندق البائس الذي كانت تعيش به الجدة، حتى عرف أنه عندما نفد منها مالها و لم تعد لديها أي أموال تأتيها من ابنها طردها صاحب النزل إلى الشارع، ومنذ ذلك الوقت كانت تتسول في البلاد، وتعيش على الفتات التي كان أصحاب القلوب الرحيمة يجودون عليها بها. وكم كانت سعادة الجدة غامرة عندما التقت حفيدها وقادها إلى أفضل نزل في المكان، ولدى مغادرته أعطاها كل ما تحتاج إليه، وترك معها المال الوفير الذي قد يكفيها شر السؤال حتى يلتقيها ثانية.

وعندما وصل سام شوانج إلى العاصمة، وأعطى خطاب أمه إلى جده، قوبل بالترحاب الشديد. وما إن اطلع الإمبراطور بشكل رسمي على القصة، حتى قرر أن يفرض أقصى عقوبة على الرجل الذي لم يرتكب جريمة قتل شنعاء وحسب، وإنما اجترأ على الاستيلاء على منصب لا يتم شغله إلا بأمر حاكم البلاد.

وهكذا فقد صدر مرسوم من الإمبراطور يأمر فيه رئيس الوزراء بقيادة مجموعة من القوات والتقدم بأقصى سرعة إلى المقاطعة التي ارتكبت فيها الجريمة الشنعاء التي لم يسمع أحد بشأنها من قبل، وأن ينزل العقاب الرادع وينفذ عقوبة الإعدام

Twitter: @ketab_n

في مرتكب هذه الجريمة حتى يكون عبرة لمن يعتبر.

وسارت الكتائب بسرعة للتأكد من عدم وجود أي معلومات خاصة بوجهة هذه الحملة يمكن أن تكون قد أرسلت من العاصمة، ووصلت القوة التي ستحق الحق إلى المدينة قبل حلول النهار بوقت قصير، وهناك عسكرت في هدوء خارج بوابات المدينة، في انتظار الطلقة التي تعلن عن صدوح الفجر، وفي الوقت الذي تفتح فيه أبواب المدينة إيذانًا ببدء الحركة المرورية اليومية.

وما إن سمح الحراس للحشد المنتظر بالدخول، حتى تقدم العسكر بأقصى سرعة في اتجاه مقر الحكم وهناك ألقوا القبض عليه . ومن دون إجراء أي نوع من المحاكمات وبموجب إعلان من رئيس الوزراء أنه يتصرف بناءً على تعليمات الإمبراطور، تم جر الحاكم من دون مراسم عبر الحشود المجتمعة التي هرعت لمراقبة ذلك المشهد المهيب.

تقدمت خطوات القدر ببطء في طريق تحقيق العدل، ولكن دون أن تخطئ، وفي النهاية وصلت إلى ذلك المجرم البائس لتقتص منه القصاص العادل الذي يستحقه.

Twitter: @ketab_n

ولكن إلى أين يتم اقتياده؟ لم يكن هذا الطريق يقود إلى الأرض التي تنفذ فيها أحكام الإعدام حيث يلقى الأشرار حتفهم وهم يجرّون أذيال الخذي والعار. لم يزل العسكر ذوو الوجوه الصارمة يجرون الحاكم شارعاً بعد شارع، وعبر الأزقة التي امتلأت جوانبها بالحشود التي طالما وقفت احترامًا وتبجيلاً لموكبه المتعالي. وفي النهاية وصلوا إلى بوابة المدينة والتي مروا أمامها سريعاً في طريقهم إلى النهر الرابض خلفها والذي بدا كخيوط من الفضة الذائبة السابحة في أشعة الشمس الذهبية من ذلك المكان البعيد.

وما إن وصلوا إلى الضفة، حتى تجمع العسكر في شكل مربع ووضعوا السجين في المنتصف. وقال رئيس الوزراء مخاطبًا إياه: «لقد اخترت تلك البقعة بدلاً من الأرض التي عادة ما تنفذ فيها أحكام الإعدام حيث يعدم المجرمون العاديون. أما أنت فجريمتك ليست عادية، واليوم، نحن نشهد السماء التي تحدّيت شرائعها وانتهكتها وعلى مسامع من مياه النهر المتدفقة التي شهدت جريمة القتل التي ارتكبتها، على لحظة موتك».

وفي لحظات خاطفة، ألقى به ستة من العساكر بقوة على الأرض، وبسرعة قطع الجلاد قلبه الدامي من صدره ثم وقف، وهو يحمل قلب المذنب في يده، إلى جانب رئيس الوزراء الذي

Twitter: @ketab_n

قرأ على الحشود حكم الإدانة الذي تم التوصل إليه ضد الحاكم، وفيه وصف جرائمه، وفي الوقت نفسه تضرع إلى السماء وإلى إله النهر بالرضا عن تلك الروح التي اختطفت في ريعان شبابها من قبل ذلك الرجل الذي نُفّذ حكم الإعدام فيه.

وبعد الفراغ من قراءة المرسوم الإمبراطوري، أضرمت النار في ذلك الجسد فلم يتبقَّ منه سوى الرماد الأسود. وأُلقي هذا الرماد مع قلب المجرم في النهر، وهكذا فقد قُدّمت رسميًا إلى الإله الذي سيرى العقوبة التي يستحقها ذلك المجرم في أرض الأرواح مقابل الجرائم التي ارتكبها على الأرض.

وبينما كانت دورية الماء التي يسيرها إله النهر تمر بالصدفة في الموقع الذي أُلقي فيه رماد الحاكم وقلبه بالنهر، التقطت الدورية رماد المذنب وقلبه بحرص وحملوهما إلى مقر الإقامة الرسمي للإله. كانت الإدانة مدونة رسميًا في أرشيف المكتب، لتستخدم كدليل عند عرض القضية على يام لو، وبعد النظر إلى ذلك القلب بتفحص وتمعن لبرهة صاح الإله قائلاً: «يبدو أن القاتل قد حصل في النهاية على بعض العقاب الذي استحقه، والآن حان الوقت لإيقاظ الزوج النائم، كي يعود إلى زوجته التي حرم منها على مدار ثمانية عشر عامًا».

Twitter: @ketab_n

وعندئذ، ذهب إله النهر مسرعاً إلى الكهف الكريستالي حيث رقد كوانج جوي لأعوام عديدة، وفي لمسة حانية من يده على جسد القتيل، ابتدر الإله الجسد المسجّى أمامه قائلاً: «انهض أيها الصديق، زوجتك في انتظارك، وأحباؤك الذي انتحبوا عليك سنين طويلة ما زالوا كذلك في انتظارك. لا تزال سنوات السعادة أمامك والشرف الذي سوف يضفيه عليك الحاكم سوف يضمن لك مكاناً بارزاً بين صفوة المشاهير في الدولة. انهض وخذ مكانك بين الأحياء».

وفي تلك الأثناء، كان رئيس الوزراء يجلس مع ابنته منصتاً إلى تلك القصة الحزينة عن سنوات المعاناة التي خاضتها، عندما فُتح الباب فجأة ودخل زوجها الذي فقدته منذ مدة طويلة. وحملق كل من الوالد وابنته في الضيف الغامض الداخل من الباب في دهشة وخوف، فلقد ظنا أن ذلك الضيف ما هو إلا شبح من أرض الأرواح أتى يتجول وسرعان ما سيختفي من أمام ناظريهما. ولكن لحسن الحظ خاب أملهما هذه المرة، واجتمع شمل كوانج جوي وزوجته من جديد، وامتلأ قلب كل منهما بالسعادة والرضا، ومُحيت الذكريات السيئة من ذهنهما، وظلا في شعور دائم بالامتنان لإله النهر الذي حافظ على حياة الزوج لمدة ثمانية عشر عامًا، وفي النهاية أعاده سالماً إلى زوجته المكلومة.

Twitter: @ketab_n

ابنة لو كونغ الجميلة

في إحدى المقاطعات التي تقع في قلب إمبراطورية الصين العريقة، عاش في غابر الأزمان رجل يدعى تشان، وكان هذا ذا طبيعة ساحرة وجاذبية كبيرة علاوة على ما تتميز به شخصيته من نشاط وحيوية مما أعانه على الاستمتاع بكل لحظة في حياته وزاد من شعبيته بين أقرانه وجعله الشخص المفضل لدى كل من عرفه وتعامل معه، كما كان أيضاً عالماً مخضرماً مطلعاً على فنون الأدب الشعبي لبلاده، وقد أمضى حياته كلها في دراسة المؤلفات العظيمة لأسلافه المشهورين في الأزمنة القديمة.

وفي أحد الأيام، قام تشان بحجز إحدى الغرف الموجودة بأحد الأديرة المعروفة والتي تبعد بضعة أميال عن منزله وجهزها لإقامته، في محاولةٍ منه لمواصلة دراساته وقراءاته لأطول فترة ممكنة من الوقت من دون وقوع أي حادث من شأنه مقاطعته أو الحؤول دون تحقيق أهدافه المنشودة. وكان ذاك الدير لا يضم بين جنباته أياً من البشر سوى مجموعة من الرهبان البوذيين الذين يعيشون

Twitter: @ketab_n

حياة هادئة ساكنة منسوجة بخيوط من الملل والرتابة والكسل في تجانس منظوم مع العزلة والركود اللذان يسودان الطبيعة الجبلية الجافة المحيطة بهذا الصرح الديني الكبير، عدا بعضاً من الأنشطة الحياتية المتمثلة في قيامهم بأعمال الخدمة اليومية بالهيكل.

لقد كان هذا الدير حقاً واحداً من أجمل أديرة الصين، فهو يشرف على منحدر أحد التلال المطلة على واد خصب رائع يجسد كل معاني العزلة التي ينشدها أي ناسك في مخيلته، وكان السبيل الوحيد للوصول إليه هو أحد الممرات الجبلية الضيقة الممتدة التي طالما عبرها العابدون الوافدون من المدينة الكبيرة والقرى الصغيرة المتناثرة حوله في أيام المواسم والأعياد مندفعين في حشود هائلة نحو الهيكل المهيب لتقديم القرابين للإله العظيم.

كان تشان طالباً مجتهداً قلما ينخرط في أي من مظاهر اللهو والمتعة، لذا اعتاد إذا غلبه الضيق والتعب من كثرة الدرس والبحث، الخروج من وقت لآخر في نزهة هادئة سيراً على الأقدام بجوار التل؛ غير أن ذلك لم يحدث إلا لمرات نادرة ومتباعدة إذ عوض تشان كل ساعة ابتعد فيها عن كتبه وقراءاته المحببة بأوقات أطول يقضيها بين سطور وصفحات هذه الكتب والمراجع البحثية بعد عودته.

Twitter: @ketab_n

وفي يوم من الأيام، خرج تشان هائماً على وجهه للتنزه، سائراً إلى سفح التل من دون أن يختار وجهة معلومة، حينئذ ظهرت أمامه فجأة زمرة من الصيادين الوافدين من مدينة الربيع الدائم المجاورة لمدينته. تبدت ملامح القوة والحيوية والنشاط والإثارة على وجوه الصيادين خاصةً عندما لمحوا ثعلباً، صادفه تشان بالفعل منذ لحظات قليلة، مطلقاً ساقيه للريح ليلوذ بالفرار منهم في أقصى سرعة بعد أن اعتراه رعب وخوف شديدين من مطاردة هؤلاء الصيادين له.

ضمت جماعة الصيادين شابة تمتطي مهراً يفيض محياها بالحيوية والحماس لاستكمال مطاردة هذه الفريسة التي وجدت صاحبتها صعوبة كبيرة في كبح جماحها والسيطرة عليها. حملت الفتاة وجهاً جميلاً فاتناً كان الأجمل من بين ما وقعت عينا تشان عليه منذ زمن بعيد، علاوة على قوامها الرشيق الذي كشفت عنه ثياب الصيد القصيرة.

وما إن أتيحت الفرصة لتشان لتفحص وجهها المشرق النضر وملامح الإثارة والحيوية والصحة تفيض من محياها وهي تمر بجانبه، حتى شعر في الحال بتسارع دقات قلبه ووقوعه في حب هذه الفتاة.

Twitter: @ketab_n

وبالتحري عن الأصول التي تنحدر منها هذه الفتاة، عرف تشان أنها تدعى ويلو وأنها ابنة أحد كبار وجهاء القرية، كما أدرك شغفها وولعها الشديدين بالصيد والمطاردة وامتطاء الخيل فوق التلال والأودية سعياً وراء اقتناص الحيوانات المفترسة التي تكثر في تلك الأماكن.

بات فكر تشان منشغلاً بما عرفه عن ويلو حتى إنه بدأ بالفعل يفكر بجدية واضحة في اتخاذها زوجة له؛ وفيما كان تشان غارقاً في تفكيره وأحلام يقظته عن فتاة أحلامه، فوجئ بنبأ موتها المفجع، فوقع فريسةً سائغةً للحزن ونهشته مخالب الاكتئاب الشديد أسفاً عليها، وفقد الرغبة في الحياة، وعزف عن كل مباهجها، وعاش لفترة كبيرة على ذكرى من خفق لها قلبه بقوة وأحبها حباً شديداً.

وبعد أسابيع قليلة من وفاة ويلو، قام موكب ضخم بشق طريقه بمحاذاة الممر الجبلي وصولاً إلى أبواب الدير قاطعاً أجواء العزلة السائدة في هذه المنطقة، وعندما خرج تشان لتفقد ما يجري بالخارج، وجد أن معظم رجال الموكب يرتدون ملابس منسوجة من الخيش وفي مقدمتهم فرقة من الموسيقيين الذين يعزفون مقطوعات غير متناغمة على آلاتهم المختلفة.

Twitter: @ketab_n

استنتج تشان أن ما يراه أمامه ما هو إلا موكب جنائزي، متوقعاً مرور صفوف طويلة من المعزين لمكان ما على جانبي التل حيث يتم دفن الجثمان في مثواه الأخير، وبدلاً من ذلك، استمر الموكب في سيره حتى اجتاز البوابات الكبيرة للدير فأدرك تشان من الغطاء الأحمر القاتم الذي يلف التابوت أن الجثمان لإحدى السيدات، ثم حمل الموكب التابوت إلى حجرة داخل الهيكل ووضعه على الحوامل التي أعدّت لهذا الغرض.

وبعد تفرق المشيعين وانصرافهم، سأل تشان أحد رجال الدين عن اسم السيدة المتوفاة، وكيف وضع التابوت داخل الهيكل بدلاً من دفنه في بيت الفقيدة، ليقوم أقاربها وأسرتها كالمتعارف عليه بالاعتناء بها، علاوة على إمكانية تقديم القرابين المختلفة لروح المتوفى بشكل أسهل منه مقارنة بالدير.

وأجاب الراهب البوذي بأنها حالة معينة تتطلب معاملة خاصة، معلقاً: «لقد صدر مرسوم إمبراطوري بنقل والد الفتاة الصغيرة التي وافتها المنية فجأة، وهو أحد وجهاء القضاء المقيمين بمدينة الربيع الدائم المجاورة، إلى منطقة أخرى تبعد آلاف الأميال».

Twitter: @ketab_n

واستطرد الراهب قائلاً: «وقد حثّ القرار الإمبراطوري على تنفيذ النقل إلى المقاطعة الجديدة على الفور دون أي تأجيل أو تأخير أو إبطاء ودون التسبب في أي حادث من شأنه تعطيل الرجل عن تنفيذ الأمر»، مما أعجز الرجل عن حمل جثمان ابنته في هذه الرحلة الطويلة و لم يكن هناك المزيد من الوقت أمامه لأخذ التابوت ودفن ابنته داخل منزله إلى جوار باقي أفراد أسرتها.

كما كان من المستحيل أيضاً حفظ التابوت في مقر عمله الحالي، فمن المتوقع اعتراض القاضي الجديد الوافد قريباً على وجود جثمان شخص غريب على مقربة من أفراد أسرته، متعللاً بإمكانية جلب هذا الجثمان للحظ السيئ على جميع أفراد عائلته وعمله مما ينذر بوقوع كارثة حقيقية».

وأضاف الراهب قائلاً: «لهذا السبب، فقد حصل الرجل على إذن رئيس الدير بالسماح لوضع التابوت في أحد حجرات الدير الفارغة حتى عودته في أي وقت لاحق لحمل جثمان ابنته ودفنه بين أسلافه وأقرانه حتى تنعم بالراحة الأبدية».

«وقد وافق رئيس الدير على هذا الطلب فوراً نظراً لما قدمه هذا القاضي من خدمات عديدة وجليلة للدير طوال فترة عمله،

Twitter: @ketab_n

كما كانت ابنته الجميلة محطّ إعجاب الجميع وحبهم؛ لذا فقد كنا في غاية السعادة لبذل أقصى ما في وسعنا لمساعدة هذا الرجل في هذا الموقف الصعب».

تأثر تشان كثيراً عندما علم بوجود الفتاة الوحيدة التي أحبها من صميم قلبه ترقد جثةً هامدة في غرفة صغيرة على بعد خطوات قليلة منه، مما ألهب مشاعره تجاه هذه الفتاة وأوقد حبه لها رغم إدراكه أنه لن يستطيع الوصول إليها البتة، وأنها لن تكون إلا مجرد ذكرى جميلة بالنسبة له مع وعيه التام باستحالة تحقق أمنية زواجه بها.

وفي مساء اليوم نفسه، وبحلول منتصف الليل تقريباً، خيم الصمت والسكون على الدير وأخلد جميع الرهبان إلى النوم، إلا أن وقع أقدام تشان شقت جدار هذا الصمت حين سار بخطوات بطيئة متثاقلة ممسكاً شمعة ينير ضوئها الخافت طيات الظلام الدامس الذي يغطي الممرات التي تؤدي إلى غرفة الموتى حيث يرقد جثمان حبيبته.

وعندما جلس تشان راكعاً بجوار التابوت بقلب مفطور من الحزن وضربات متسارعة من شدة الوجد والهيام، زادت قوة مشاعره تجاه معشوقته، ولم يدر بنفسه سوى وهو ينادي على ويلو في صوت متهدج لتنصت إلى ضربات قلبه وتتعرف على

Twitter: @ketab_n

حقيقة مشاعره تجاهها.

ثم أخذ تشان في التحدث إليها كأنها واقفة أمامه وجهاً لوجه تنصت إليه في اهتمام، فأخبرها كيف وقع في حبها منذ اللحظة التي وقعت عيناه عليها فيها لأول مرة حينما كانت ممتطية جوادها مسرعة في محاولة منها لتعقب الثعلب الذي فر من الصيادين إلى الوادي، كما أخبرها عن خططه بخصوص زواجه بها، ووصف لها مشاعره في حين انسابت دموعه بشدة لتخالط صوته المختنق بالبكاء، مصوراً شدة جزعه وانفطار قلبه عند سماعه بنبأ وفاتها وفقدانها إلى الأبد.

وأضاف تشان قائلاً: «أرغب في رؤيتك في كل حين، ذلك أنني أشعر بعدم قدرتي على الاستمرار في العيش بدونك، أنت قريبة جداً مني بيد أنك في عالم آخر غاية في البعد عني! ألا تستطيعين القدوم من أرض الأرواح التي تقيمين فيها الآن لتريحي خاطري ولو بنظرة واحدة إلى محياك الجميل الذي طالما أحببته، أو بسماع أنغام صوتك التي ستملأ قلبي وروحي بأروع الألحان؟».

ولعدة شهور، كانت الراحة الوحيدة في الحياة لتشان هي هذه الزيارة التي يقوم بها في ظلمة الليل لحبيبته، ولم تمر ليلة واحدة دون ذهابه لرؤيتها وإخبارها بتواصل حبه لها وولعه

Twitter: @ketab_n

الشديد بها؛ وبينما يغلف الظلام الدامس جدران الهيكل ولا يكسر الصمت سوى بعض الأصوات غير المفهومة التي تنطق بها الطبيعة حين ينفصل الإنسان عن الحياة بالنوم شيئًا فشيئًا، ظل تشان يتلو كلمات الحب التي أخفاها داخل جوانح قلبه ونفسه والتي تندفع الآن خارج قلبه الوحيد الذي امتلأ حزناً لتخفف عنه بعضاً من آلامه وأحزانه.

وبينما هو جالس في إحدى الليالي منكباً على كتبه ودراساته، التفت جانباً واعترته دهشة كبيرة حين رأى شبح فتاة صغيرة واقفاً على أعتاب غرفته، ولقد بدت هذا الفتاة الشبح وكأنها إنسان حي بالفعل، ورغم ذلك بدت رقيقة للغاية حتى أنها اتخذت شكل الأرواح القادمة من العالم الآخر، وحين نظر إلى الفتاة محدقاً في وجهها في استغراب، أضاءت وجهها ابتسامة رقيقة فشعر بسعادة بالغة، واكتشف في هذه اللحظة أن هذه الفتاة ما هي إلا ويلو، حبيبته الضائعة التي يئس من رؤيتها مرة أخرى.

وبينما علت وجه ويلو ابتسامة واضحة، جلست بجانب تشان في هدوء وسكينة قائلة: «جئت إليك الليلة بعد مشاعر الحب التي تفوهت بها من دون انقطاع منذ وفاتي، فكانت قوة

Twitter: @ketab_n

الجذب الخارقة التي استطاعت إعادتي من أرض الأرواح، فقد شعرت بها هناك كما تحدث الكثيرون عنها في ذلك العالم المعتم الذي لا تشرق فيه الشمس، وحتى يام لو – ملك الأرواح في ذاك العالم الموحش – قد تأثر كثيراً بحبك الذي لم يتغير قطّ؛ ولذلك فقد منحني الأذن برؤيتك كي أخبرك عن تأثري الشديد بحبك المتدفق طوال هذه الشهور والأيام رغم عدم توقعك لحدوث أي استجابة مني لعواطفك الجياشة نحوي».

وقد استمر هذا التواصل لشهور عديدة بين تشان ومحبوبته ويلو، ولم يعرف به أي فرد من الأفراد المقيمين داخل الدير، ذلك أن لقاءاتهما تبدأ دائماً بحلول منتصف الليل وتنتهي باختفاء ويلو، التي بدا أنها تتحرك بحرية كبيرة عبر الأبواب المغلقة أو الجدران السميكة، مع بزوغ خيوط الفجر.

وفي إحدى الليالي، وبينما تشان وويلو يتحاوران في موضوعات يتقاسمان الاهتمام بها، كشفت ويلو عما يجيش في صدرها لتشان وأخبرته عن مدى تعاستها وعدم شعورها بالسعادة في عالم الأرواح.

وقالت ويلو لتشان: «تعرف أنني لم أكن متزوجة قبل وفاتي لذا فأنا دائما أتجول وحيدة في ذلك العالم ولا أملك أي مكان

Twitter: @ketab_n

هناك لأنعم فيه بالراحة وليس لي هناك أي أصدقاء، فأتنقل بحرية في كل مكان، ولا أشعر أن هناك من يعيرني أي اهتمام، وليس ثمة ما يربطني بأي مكان أو شيء هناك، فبالنسبة لفتاة شابة مثلي، يعد ذلك أمراً محزناً جداً».

وأضافت أيضاً والحزن يكسو ملامح وجهها الجميل: «وهناك ما يزيد من كربي في أرض الأرواح، فقد كنت مغرمة بالصيد أثناء إقامتي في منزل أبي وقمت كذلك باصطياد العديد من الحيوانات المفترسة في رحلات الصيد، وقد وشت هذه الحيوانات جميعاً بي في العالم الذي أسكنه الآن، لذا يتعين علي أن أعاقب وأعاني الكثير من الآلام والعقوبات قدر ما تسببت فيه من إزهاق أرواح هذه الكائنات وهو الأمر الذي يصعب علي تحمله».

ثم أردفت قائلة: «لقد ارتكبت آثاماً عظيمة وأود تقديم قرابين خاصة في هذا الهيكل لإلهة الرحمة أناشدها من خلالها أن ترسل للعالم الآخر صحيفة أعمالي الطيبة لملك عالم الأرواح - يام لو، لتشفع لي عن الخطايا التي ارتكبتها فيما مضى. فإذا ما قمت بذلك من أجلي، أعدك بأني لن أنساك البتة بعد ولادتي من جديد، وإذا رغبت في انتظاري،فسأكون زوجتك التي ستقوم على خدمتك بقدر ما يستطيع قلبي أن يقدم لك من حب ووفاء،

Twitter: @ketab_n

طالما كانت إرادة السماء أن نحيا معا زوجاً وزوجة».

ومنذ ذلك الوقت، غلبت الدهشة رهبان الدير، حيث دب الحماس في تشان وانشغل في خدمة الإلهة حتى أنه قد يقضي في بعض الأحيان ساعات طويلة أمام صورتها مكرراً صلوات طويلة، مما أثار الانتباه، إذ لم يبد تشان - إلا فيما ندر - الرغبة في القيام بأي شيء للآلهة العديدة الموجودة في مختلف أجزاء الهيكل.

وبعد عدة شهور من تلاوة الصلوات بشكل يومي وتقديم القرابين المختلفة لإلهة الرحمة، أخبرت ويلو تشان أن صلواته نجحت إلى حد بعيد بعد أن تم تخفيف مأساتها وأحزانها في أرض الأرواح على نحو كبير، كما أثرت شفاعة والتماسات إلهة الرحمة في يام لو وحركت قلبه ومشاعره كثيراً تجاه ويلو التي آمنت الآن بغفران خطيئتها العظيمة التي تمثلت في إزهاق أرواح الحيوانات، علاوة على وجود علامات تدلّ على تغير نظرة حاكم العالم السفلي لها وإسبال عطفه ورحمته عليها.

وعند سماعه لهذه الأخبار المفرحة، سُر تشان كثيراً، وزاد من صلواته وقرابينه، وبدأ يحلم أن يكون تقربه إلى إلهة الرحمة وسيلة لخلاص ويلو السريع وفصلها عن العالم الآخر، ولكن الأمر جاء على عكس توقعاته، فقد أتت ويلو لرؤيته في إحدى

Twitter: @ketab_n

الليالي كالمعتاد وبدلاً من دخول غرفته بوجه مبتسم وعيون يملؤها الإشراق واللمعة، كانت تبكي بحرقة وحزن شديدين.

غلب الهم والحزن تشان عندما رأى ذلك وطلب من ويلو أن تفصح له عن سبب حزنها الشديد، فقالت: «إن السبب وراء حزني ودموعي هو عدم قدرتي بعد هذه الليلة على رؤيتك مرة أخرى، لقد كان لتوسلاتك وصلواتك لإلهة الرحمة تأثير قوي على عقلها حتى أنها استخدمت كل ما أوتيت من قوة مع يام لو لتشجيعه على إطلاق سراحي من البؤس الذي أحيا فيه بأرض الأرواح، لذلك سأترك هذه الأرض الموحشة لأولد من جديد في هذا العالم العلوي».

أتمت ويلو كلماتها لتنساب دموعها بغزارة على وجنتيها مرة أخرى وأخذ جسمها في الارتعاش مع تسارع أنفاسها بشدة.

وأضافت قائلة: «بالطبع إنني سعيدة لأنني سأولد من جديد وأعيش بين الناس، غير أنني لا أحتمل فكرة البعد عنك لفترة طويلة، لكن دعنا لا نحزن كثيراً، فهذا قدرنا ولن نستطيع التمرد عليه، وقد أصبح يام لو أكثر عطفاً علي من أي وقت مضى، وكشف لي عن الأسرة التي سأولد فيها والمكان الذي سأعيش فيه، لذا فإن استطعت المجيء إلي خلال ثمانية عشر عاماً ستجدني

Twitter: @ketab_n

بانتظارك، لقد أحببتني بشدة لدرجة كبيرة هزت كل مشاعري ولن يتمكن أي شيء من محو ذكراك من قلبي ما حييت. ولو شاء القدر أن أولد من جديد ألف مرة إلا أنني لن أحب أي إنسان كما أحببتك».

وعند سماعه لكلماتها الرقيقة الحانية، شعر تشان بارتياح كبير فور اعتراف ويلو بالحب الذي تكنه له، بيد أنه أحس باليأس عندما فكر بالمستقبل، ثم تنهد قائلاً: «حين أراك في المرة القادمة سأكون أكبر منك عمراً وستكونين أنت في ريعان الشباب وقمة الأنوثة ولن تهتمي حتى بالنظر إليّ، إذ سيتحول لون شعري إلى اللون الرمادي وتكسو التجاعيد وجهي وعند مولدك الجديد سوف تنسين كل ما حدث لك في أرض الأرواح وتتبدد الذكرى من قلبك للأبد».

نظرت ويلو إلى تشان بعينين مليئتين بالحب تفيضان بالدموع في الوقت نفسه أثناء حديثه عن المستقبل، غير أنها أكدت له بسرعة أنه لا يوجد في العالم ما يمكنه أن يفقدها الشعور بحبه لها والحفاظ على ذكراه.

وقالت ويلو: «كي تستريح، دعني أخبرك بأمرين ألا وهما قيام يام لو، الذي وضع حبك الشديد لي في اعتباره، بمنحي

Twitter: @ketab_n

شيئين لم يمنحهما لأي فان قد عاش من قبل تحت إمرته؛ الأول: القيام بفحص كتاب الحياة والموت الذي يسجل فيه تاريخ كل إنسان ومواعيد ولادته الثانية والأماكن التي سيعيش فيها، لذلك أطلب منك في هذه اللحظة أن تسجل السر الذي تم كشفه لي فيما يتعلق باسمي وأسرتي الجديدين والمكان الذي سأقيم فيه، حتى لا تجد صعوبة في العثور علي عندما أبلغ الثامنة عشرة كي تأتي وتتقدم لزواجي.

«والثاني: هدية قيّمة جداً تعجز الكلمات عن وصف امتناني للحصول عليها، وهي منحي ميزة خاصة جداً تمكني من عدم نسيان كل ما حدث خلال فترة إقامتي في أرض الأرواح، وعلى ذلك عند ولادتي من جديد في أي مكان داخل إمبراطورية الصين مع أب وأم جديدين، سأحمل في طيات ذاكرتي كل ما يتعلق بك، وستمر السنون بسرعة، وعندئذ سأكون في انتظار مجيئك إلي، وسيكون العام الثامن عشر أسعد حدث في حياتي إذ ينتهي انفصالنا ونعيش معاً زوجا وزوجة».

وبسرعة أردفت ويلو قائلة: «غير أنني يجب أن أسرع لأن القدر يخطو بخطى سريعة تجاهي، وستغلق بوابات الأموات أمامي في غضون دقائق معدودة وستختفي ويلو بعدها، لأعود

Twitter: @ketab_n

طفلة رضيعة مرة أخرى في حياة جديدة تماماً، والآن، لم يتبق لدي سوى دقيقة واحدة، ويبدو أنه لدي الكثير لأقوله في تلك الدقيقة، ولكن لن يتسع الوقت لي سوى لقول وداعاً ! لا تنسني! سأذكرك دوماً، والآن قد حانت لحظتي الحاسمة!».

وما إن أتمت ويلو هذه الكلمات حتى اكتست وجهها ابتسامة رائعة ثم اختفت.

ساعتها حل حزن عميق يفوق الوصف بتشان عد خسارته لويلو التي ستولد من جديد، ومن أجل التغلب على مشاعر الشجن التي اجتاحته، قرر تشان التفرغ فقط لدراساته وأبحاثه، وأصبحت كتبه رفيقه الوحيد، وسلواه وعزائه في وحدته التي غلبت على حياته منذ توقفت ويلو عن زيارته، كما تحول تشان إلى عابد مجتهد للآلهة وخاصة إلهة الرحمة التي لعبت دوراً حيوياً في حياة محبوبته ويلو الماضية.

ومرت السنوات ببطء وبدأ الشعور بالكبر والعجز يداهم تشان، وشاب شعره عدد من الخيوط الفضية، واعتلت التجاعيد جبهته وتحت عينيه، واستولى انتظار المرأة الوحيدة التي امتلكت قلبه على كل ذرة من كيانه، وكلما اقترب الوقت الذي سيراها فيه تسلل الخوف والرعب إلى قلبه وملأه بمزيد من

Twitter: @ketab_n

القلق، وظلت الأسئلة تتضارب كالأمواج داخل عقله وتعصف بكيانه: هل ستتمكن ويلو من التعرف عليه؟ هل سترضى الفتاة ذات الثمانية عشر ربيعاً به زوجاً لها رغم الفارق الكبير في العمر؟ ظلت هذه الأسئلة تتزاحم داخل عقله باستمرار من دون أن يجد لها إجابة شافية.

وفي النهاية لن يتبق إلا أشهر معدودات قبل أن يبدأ تشان رحلته لتلك المقاطعة البعيدة التي قرر يام لو أن تبدأ فيها ويلو حياة جديدة على الأرض.

وفي أحد الأيام جلس تشان منهمكاً في دراساته وأبحاثه بين كتبه المختلفة، وأخذ يفكر ملياً في المشكلة العظيمة التي تؤرقه والتي تعايش معها لفترة طويلة ويتوقع حلها قريباً، وعلى حين غرة، دخل غرفته رجل متشح برداء أسود، وظل صامتاً لبرهة ثم نظر إلى تشان بابتسامة رقيقة تمكنت على الفور بمنتهى السهولة من فتح أبواب قلبه الموصدة، عندئذ، أخبره الزائر عن طبيعته كجنيّ أرسل إليه من الفردوس الغربي بعد أن اختاره حكامها لتقديم كافة المساعدات الممكنة لتشان في خضم هذه الأزمة، عندما علموا بالقلق الذي يملأ قلبه.

Twitter: @ketab_n

ثم أضاف الجني قائلاً: «لقد سمعنا جميعنا في أرض الجن البعيدة عن مشاعر الحب العاتية التي اجتاحتك وقدمتها لويلو، وكيف أنك لم تتخلّ أو تتوقف يوماً طوال هذه السنوات الماضية منذ رأيتها آخر مرة عن حبك لها، وبما أن مثل هذا الحب يندر وجوده في عالم الأحياء، فقد قرر سكان أرض الجن تقديم المساعدة لجمع شملكما معاً كقلبين متحابين للأبد؛ لذا دعني أؤكد لك أن المرأة التي أهديت لها هذه المشاعر القوية والتي تشعر بهذا الكم من القلق تجاهها تبادلك الشعور نفسه والحب وتحصي الأيام كي تتمكن من رؤيتك مرة أخرى ولا تنفصل عنك قطّ.

ورغبةً منا في مساعدتك على إتمام زواجكما، أرغب أن تقوم برحلة قصيرة معي تستغرق ساعات قليلة لتجد بعدها نتيجة مذهلة ستبدد كل مخاوفك التي تشعر بها حول استقبال ويلو لك».

وبعد انتهاء الجني من إلقاء تلك الكلمات على مسامع تشان، قام الجني بقيادة تشان إلى باب الغرفة ثم حرك يديه باتجاه السماء، ليسمع على الفور صوت ضربات أجنحة طائر ما، وخلال لحظة واحدة، هبط نسر ضخم على الأرض برشاقة عند أقدامهما، وامتطى تشان والجني ظهره ليجدا أنفسهما يحلقان بسرعة البرق في السماء بعيداً عن ظلمة الليل، وكلما ارتفع النسر في السماء

Twitter: @ketab_n

كلما زاد اختراق تشان والجني للكتل المتراكمة من السحب التي تتدلى من قبة السماء، واستمرّ النسر في اختراقه للسماء كالسهم المارق في الفضاء حتى اختفت السحب عن الأنظار؛ وما زال تشان والجني محمولَين على ظهر النسر لامتداد لم يسافر إليه أي إنسان من قبل.

وأحس تشان بخفقان قلبه وتسارع ضرباته لدرجة أنه شعر بعدم قدرته على التحكم في المشاعر التي تسيطر عليه وعدم القدرة على تمييز كنه تلك المشاعر، فبدأ يفكر ماذا لو شعر الطائر بالتعب والإعياء؟ هل سيؤدي هذا الأمر إلى وقوع تشان في هاوية عميقة؟ وبالتالي ستنتهي رحلة الحياة بشكل مأساوي، وإن حدث ذلك، كيف سيحمل وكيف سيتمكن من العودة لمنزله البعيد فوق الأرض؟ وازداد قلق تشان حين أمسك الجني بيده وأكد في صوت ثابت بدّد مخاوفه أنه لا يوجد أي خطر في طيرانهما الجويّ هذا.

ثم أكد الجني كلامه قائلاً: «لا داعي للشعور بالقلق، نحن في مأمن هنا كما لو كنا نقف فوق جبل تضرب جذوره وتمتد لعدة أميال في باطن الأرض»، ثم أضاف مشيراً إلى نقطة في الفضاء البعيد قائلاً: «ينبغي أن نصل إلى وجهتنا المقصودة في غضون ثوان قليلة».

Twitter: @ketab_n

وللحق لم يكد الجنيّ ينهي حديثه حتى برزت أمام عيون تشان والجني فجأة قطعة أرض أجمل من أي مكان قد رآه تشان بالفعل على كوكب الأرض وأروع من أي مكان تصوره في خياله؛ وقبل أن يتمكن تشان من جمع شتات نفسه واستجماع قواه بعد الدهشة الكبيرة التي انتابته أرخى النسر جناحيه وهبط فوق شطآن هذه الأرض، وبعد أن ترجلا عنه، انطلق النسر مرة أخرى يمدّ أجنحته العريضة التي حلقت عالياً في غياهب الفضاء المجهول.

ثم قام الجني بعد ذلك بقيادة تشان في طريق ممتد تحيط به آيات من الجمال البديع لا مثيل له من الزهور النادرة ذات الألوان المشرقة الزاهية باختلاف أنواعها وأحجامها بينما تكتسي الأشجار بالرداء الأخضر على اختلاف أحجامها وأشكالها علاوة على الطيور التي ملأت البساتين والمروج الخضراء المحيطة بأروع الأنغام وأعذبها، مما أدخل الغبطة والبهجة على قلب تشان ووضعه في شعور دائم من النشوة والسرور، وبعد لحظات قليلة، وصل تشان والجني إلى قصر فخم وضخم يمتد فوق مساحة شاسعة ملأت قلب تشان بالقلق والهيبة من دخوله أو اقتحام حدوده أو حتى السير في الطريق المؤدي له.

Twitter: @ketab_n

ومرة أخرى قام الجني المرافق له في هذه الرحلة العجيبة بتهدئة روعه وتبديد مخاوفه حين أخبره أنه ضيف مرغوب فيه ومتوقع مجيئه إلى هذا المكان، وأن ملكة عالم الجن المسحور قد قامت بإرساله خصيصاً إلى الأرض لدعوة تشان للحضور إليها وزيارتها حتى تتمكن من مباركته ومنحه بعض العطايا التي من شأنها إثراء حياته وتمكينه من قضاء سنوات عديدة من عمره في سعادة وبهجة مع المرأة التي طالما خفق لها قلبه وأحبها حباً جماً.

قاد الجني تشان إلى بهو الاستقبال الكبير بالقصر، حيث التقى سيدة جليلة يمتلئ وجهها بملامح الكرم والسخاء والتي تعرف عليها في الحال من الصور التي صلى أمامها كثيراً فقد كانت تلك السيدة هي إلهة الرحمة، وانتابت تشان دهشة كبيرة حين أدرك الحضور المهيب لإلهة الرحمة فبدأ جسمه في الارتعاش والانتفاض بعد شعوره بإثارة كبيرة لرؤية شخصية مهيبة وجليلة مثل هذه الإلهة التي يصلي ملايين الناس في الصين أمام صورها ويقدسونها، كما أنها الإلهة التي يمتد نفوذها وسلطانها حتى أرض الأرواح.

Twitter: @ketab_n

وتحدثت إلهة الرحمة إلى تشان في صوت حنون وعذب بعدما أبصرت ملامح الخوف والرعب على وجهه وطلبت منه ألا يخاف لأنها استدعته رغبة منها في تبديد مخاوفه وقلقه فحسب وليس بهدف توجيه أي لوم أو توبيخ له.

ثم انطلقت إلهة الرحمة في حديثها معه قائلة: «لقد تناهت إلى مسامعي أحداث قصتك وأعتقد أنها حقا قصة جميلة مؤثرة، ولتعلم أنني قبل أن تتم ترقيتي إلى المكانة الرفيعة التي أشغلها حالياً، كنت يوماً ما امرأة عادية لا تختلف قطّ عن محبوبتك ويلو، لذلك أشعر بالتعاطف معها وأشعر بإحساسها وبحبها الشديد الذي تكنه لك بعد حبك النبيل الذي قدمته لها منذ اللحظة الأولى التي وقعت عيناك فيها عليها والذي لم يتأثر أو ينقطع لفترة طويلة بعد وفاتها».

«كما أعرف أيضاً مدى قلقك بسبب تقدمك في السن والخوف الذي تشعر به من رد فعل ويلو عندما تراك وعلامات الشيب والتقدم في السن تعلو وجهك، ومن وهج حبها الذي قد يخبو شيئاً فشيئاً فتتركك حزيناً مفطور القلب لتغرق في ظلمات بحور اليأس العميقة. ولقد توقعت حدوث مثل هذه المشكلة منذ وقت طويل ولكنني الآن سأعمل على حلها والتغلب عليها للأبد».

Twitter: @ketab_n

ثم أضافت إلهة الرحمة قائلة: «سيأخذك الجني الذي أحضرك إلى هنا لتطوف حول القصر، فإذا قمت بتنفيذ رغباتي، سيتبدّد تماماً عندئذ فقط شبح المخاوف التي سيطرت عليك وشغلت تفكيرك لسنوات عديدة، ثم تلتقي بعدها بويلو بقلب شاب كقلب أي رجل في مقتبل العمر وريعان الشباب الذي ينتظر قدوم محفة العرس التي تحمل زوجة المستقبل إلى منزل الزوجية السعيد».

وفي الحال، ومن دون أدنى تردد، سار تشان في أعقاب الجني المرشد له في الساحات الفسيحة المحيطة بالقصر حتى وصل أخيراً إلى طرف بحيرة صغيرة جميلة تتلألأ صفحتها بالمياه الزرقاء الصافية النقية، وتتوسط قلب الأشجار الخضراء الكثيفة ونباتات السرخس، وعبير الزهور النادرة ذات العطور الخلابة، وكانت رؤية هذا المشهد الرائع الخلاب الذي استقر عليه بصره السبب الرئيسي في زوال كل همومه ومخاوفه.

عندئذ قال الجني وهو ينظر بعطف شديد إلى تشان: «تعرف هذه البقعة المائية الجميلة باسم ينبوع الشباب الدائم وتتمثل رغبة الملكة الخالصة في اغتسالك داخل هذه البحيرة».

Twitter: @ketab_n

وبأقصى سرعة، خلع تشان ملابسه ودون أن يمنح نفسه دقائق قليلة للتفكير، ألقى بنفسه داخل البحيرة الصغيرة وما كانت إلا لحظة واحدة حتى غطس تحت سطح الماء، ثم طفا سريعاً على السطح وشعر بسعادة بالغة تغمره بالإضافة إلى قوة خفية بدأت تدب في جميع أوصال جسده، فقد ذهب عنه شعور التقدم في السن وبدأت ملامح الشباب في العودة إليه من جديد. أحس تشان كأنه شاب يافع مرة أخرى؛ بعد أن ترك المخاوف والشكوك التي أثقلت كاهله طوال السنوات الماضية فأصابته بالشيخوخة والتقدم في السن، في أعماق المياه العطرة لهذه البحيرة الرائقة.

وعقب هنيهة، خرج تشان من «ينبوع الشباب الدائم» وفوران الشباب وطموحات الفتوة والقوة تدب في أوصال جسده وعقله معاً، إذ استعاد قواه، التي بدأت تخور في الآونة الأخيرة، والتي أعانته في الماضي على خوض العديد من التجارب الصعبة بنجاح كبير.

كما تغيرت أفكاره تماماً بشأن مقابلة ويلو، فبدلاً من الخوف والقلق اللذين عششا داخل خوالجه من يوم لقائه بها، وأصبحت تحدوه رغبة جامحة الآن في بدء رحلته للقائها في الموعد المحدد.

سار تشان والجني باتجاه المساحة الشاسعة اللا منتهية المحيطة

Twitter: @ketab_n

بقصر إلهة الرحمة فوجدا تنيناً ضخماً بانتظارهما ليعيدهما إلى كوكب الأرض من جديد، وما كاد كلاهما يعتلي ظهر التنين حتى انطلق التنين بسرعة الريح في الفضاء الفسيح الذي لم يطرقه أحد غيره من قبل إلى أن لاحت قمم الجبال من مسافة بعيدة جداً وفي لمح البصر وجد تشان نفسه يهبط بأمان عند أبواب الهيكل الذي بدأ من خلالها هذه الرحلة الرائعة للفردوس الغربي.

وبينما تقع هذه الأحداث الرائعة، نضجت ويلو – أو بالأحرى بريشاس بيرل [1]– كما أطلق عليها والداها اللذان لا يعلمان أي شيء بالطبع عن ماضيها البعيد، لتضحى في صورة امرأة جميلة وجذابة.

وطوال هذه السنوات، لم يتوقف قلب ويلو البتة، رغم اعتماله بالقلق الدائم والخوف من المستقبل، عن التطلع إلى اليوم الذي ستتمكن فيه من رؤية الرجل التي ربطت نفسها معه برباط الحب والزواج المقدس منذ ثمانية عشر عاماً، لذا فقد بدأت ويلو مؤخراً في إحصاء الأيام التي يجب أن تمر وتنقضي قبل أن تتمكن من رؤية حبيبها مرة أخرى، فلم تنس إطلاقاً تلك الليلة التي قامت بوداعه فيها بين جدران الهيكل المقدس قبل إعادة ولادتها بلحظة واحدة.

(1) اللؤلؤة الثمينة (م).

Twitter: @ketab_n

لقد نُقش هذا اليوم وتلك الساعة البعيدة في ذاكرة ويلو، ومنذ ذلك الوقت بدت السنوات وكأنها تسير بخطوات بطيئة متثاقلة كأنها تمشي رغماً عنها ولا ترغب في الزوال بتاتاً، و لم يبق الآن سوى أشهر قليلة من دون أن يتطرق إلى قلبها يوماً أي شك في حب تشان لها ورغبته في الزواج منها للأبد.

وفي تلك الآونـة، أخبرت والـدة ويلو ابنتها بوجود من يرغب في الزواج منها وهو شاب ينتمي إلى أسرة ثرية عريقة، وعلى غير العادات المتبعة في الصين في ذلك الوقت، ذهبت الأم لتعرف رأي ابنتها في عرض الزواج، عندئذ شعرت بيرل بيأس يفوق الحدود، وتوسلت لوالدتها ألا تتطرق إلى هذا الموضوع مرة أخرى وألا تلقيه على مسامعها لأنها لا تجد أي متعة في الخوض في مثل هذه الموضوعات.

وانتابت الأم دهشة كبيرة عند سماع حديث ابنتها، وطلبت منها أن تفسّر السبب الحقيقي وراء هذه النظرة، قائلة: «إن الفتيات في مثل سنك يخطبن ويفكرن جميعاً في الزواج وإقامة بيوت خاصة بهن، وهو الأمر المعتاد داخل كافة أقطار الإمبراطورية ومقاطعاتها، فهل هناك إذن سبب خطير جعلك تتفوهين بهذا

Twitter: @ketab_n

الكلام متوسلةً إلي التوقف عن الترتيب لإعداد زواجك من شاب معروف ينتمي إلى أسرة عريقة ومحترمة».

شعرت بيرل في قرارة نفسها بأن الوقت يداهمها لتفصح عن سر حبها القديم الذي أخفته لسنين طويلة واعتبرت هذا الوقت بمثابة اللحظة المناسبة للإفصاح عنه، وعندما أعلمت والدتها بالسر، اندهشت الأم جداً لسماع تلك القصة إلى الدرجة التي اعتقدت معها أن ابنتها متأثرة بوهم الوقوع في قصة حب كبيرة، ولكن بيرل أخبرتها عن الماضي؛ وكيف وقع تشان في غرامها وكيف سمح لها يام لو بعد وفاتها وإقامتها في أرض الأرواح بالذهاب إلى الهيكل وزيارة حبيبها في المكان الذي يرقد فيه جثمانها حتى يتم دفنه لينعم بالراحة الأبدية على جانبي التل.

ثم مضت بيرل في حديثها موضحة لوالدتها كيف تم اتفقت وتشان على انتظاره حتى تنقضي مدة الثمانية عشر عاماً لتصبح ناضجة، ومن ثم تتمكن من الزواج به، واختتمت حديثها قائلة: «أمي العزيزة، ستنتهي هذه الفترة بعد أشهر قليلة لذا أتوسل إليك ألا تتحدثي عن موضوع الخطبة والزواج من أي شاب آخر لأنني أشعر بالتزام كبير تجاه تشان ولن أتزوج أي شخص سواه وإلا فليكن الموت هو مصيري المحتوم».

Twitter: @ketab_n

وبعد سماعها لكلمات ابنتها العجيبة، أصيبت الأم بصدمة هزت كيانها، و لم يدر في خلدها سوى هاجس واحد فقط وهو أن بيرل ابنتها قد أصيبت بمس سحري بشكل ما وهذا الأمر هو ما يسبب لها تخيل هذه القصة التي لا يقبل العقل تصديقها والتي ترتبط فيها بوعد الزواج مع هذا الرجل المزعوم التي تظن أنها مخطوبة له منذ زمن بعيد، وعلى الرغم من أن بيرل هي الابنة المحبة لوالدتها التي تمتلك قدرات وذكاء ورجاحة عقل تفوق أقرانها من الفتيات الصينيات، لم ترغب الأم بعد سماع القصة في توبيخ ابنتها على تصديقها هذه الأفكار الساذجة، وعليه بدأت في التفكير بوسائل أخرى لمعالجة ابنتها وحمايتها من حماقتها.

فوجهت حديثها لابنتها متسائلة: «كم كان عمر تشان في ذلك الوقت حين قررت الارتباط معه بوعود الخطبة والزواج؟».

فأجابت بيرل على الفور: «لقد كان في الثلاثين من عمره، وهو ينتمي إلى أسرة طيبة كما أنه عالم كرس حياته ومجهوده لدراسة الأدب الصيني القديم».

فبادرتها الأم قائلة: «إذن لابدّ من أن تشان قد قارب الخمسين من عمره الآن، سيكون زوجاً رائعاً بحق لفتاة في الثامنة عشرة من عمرها! لكن من يعلم كيف يمكن أن يكون قد تغير منذ آخر

Twitter: @ketab_n

مرة رأيته فيها؟ لابدّ من أنه قد تقدم في العمر وتغير لون شعره إلى اللون الرمادي ووقعت أسنانه أيضاً؛ وربما يكون قد توفي بالفعل ودفن منذ أمد بعيد وتآكل عظمه فلم يبق منه شيئاً، وربما يقودنا التفكير أيضاً إلى الوعاء الذي يحمل رفاته بعد الموت».

فبكت بيرل قائلة في صوت يكشف عن الحزن الذي تشعر به: «آه! أدعو ربي ألا يكون قد أصابه أي شيء من ذلك كله، دعينا نترك ذلك الآن ولا نتحدث عنه حتى تمضي الأشهر القليلة القادمة وعندما سيأتي إلي، كما أتوقع من دون أدنى شك، ستعرفين بخبرتك الشخصية وبصيرتك وذكائك كم هو رجل رائع جدير بزواج ابنتك والانتساب لهذه العائلة كصهر لك».

وفي ذلك اليوم الذي وقعت فيه تلك الأحداث الرومانسية قبل ثمانية عشر عاماً، وصل تشان إلى القرية وبعد تأجير غرفة في أحد النزل والقيام ببعض التحريات، شق طريقه إلى المكان الذي اعتقد أن ويلو تقيم فيه. وعند وصوله، علم من خادم المنزل الذي عامله بأسلوب فظ أنه لا أحد يدعى ويلو في هذا المنزل وأنهم لا يرغبون في دخول غرباء إلى المنزل، كما أخبر الخادم تشان بفظاظة أنه كلما أسرع في الانصراف من هذا المكان، كان ذلك أفضل للجميع، وبالطبع كانت هذه المعاملة جزءاً من خطة أعدها

Twitter: @ketab_n

والدا بيرل لمنع تشان من الوصول إليها ورؤيتها، فقد صمما على عدم السماح لابنتهما بالزواج من هذا الشيخ العجوز وقررا أن يحولا دون لقائهما تحت أي ظرف من الظروف.

وبعد حدوث هذا الموقف، أحس تشان باستياء شديد بعد الرفض الذي لاقاه والطريقة التي قوبل بها، فهل أخطأت ويلو منذ ثمانية عشر عاماً حين أعطته المعلومات الخاصة باسم القرية والمكان التي ستعيش فيه حياتها الجديدة؟ لقد دون تشان هذه المعلومات بحرص شديد بناء على طلب ويلو وحفر اسم القرية في عقله وذاكرته طوال هذه السنوات، لا ليس هناك أي مجال للخطأ في هذه المعلومات، فلو كان هناك أي خطأ، فسيكون خطأً متعمداً من قبل يام لو لتضليل تشان وويلو، لذا فهذه الفكرة لا يصح التفكير بها والاعتقاد فيها، لابد من أن يكون هناك سبب آخر وراء عدم وجود ويلو كما توقع تشان. وعلى ذلك، قام بإجراء المزيد من التحريات في النزل الذي يقيم فيه، ووجد أن هناك فتاة شابة تقيم بالفعل في المنزل الذي قصده، وأن أوصاف هذه الفتاة تنطبق تماماً مع أوصاف محبوبته ويلو.

وفي الوقت نفسه، كانت بيرل المسكينة تمر بحالة من القلق والذعر، فقد أوشك اليوم المُفترض فيه لقاء حبيبها تشان بعد

Twitter: @ketab_n

غياب طويل على الأفول ومع ذلك لم يأت محبوبها بعد، و لم يتسلل الشك لقلب ويلو ولو للحظة واحدة في بقاء تشان على عهده لها واستمرار خطبته لها منذ ثمانية عشر عاماً، وكان هناك شيء ما بداخلها يؤكد لها دوماً بقاء تشان على قيد الحياة، وعودته إليها في المستقبل أياً كانت الظروف، حسب الاتفاق القديم الذي أبرم بينهما داخل الهيكل منذ ثمانية عشر عاماً.

وبمرور هذا اليوم من دون قدوم تشان طغى شعور الحزن واليأس على بيرل، وعندما أرخى الليل سدوله، وأعلنت والدتها عدم ظهور تشان، زاد إحباط بيرل حتى فقدت وعيها تماماً وحملت إلى سريرها حيث رقدت فيما يشبه الإغماءة التي بدا لوالدتها أنها لن تستطيع أن توقظ ابنتها منها لفترة غير معلومة من الزمن.

وعندما استعادت بيرل وعيها في النهاية، حاولت والدتها تهدئتها وتخفيف آلامها فأخبرتها أنه ربما توفي تشان أو نسيها في غمار هذه السنوات الطويلة وتوسلت راجية بيرل ألا تحزن كل هذا الحزن. وأضافت قائلة: «أنت فتاة شابة وجميلة في ريعان الصبا ولا تزال الحياة أمامك فاتحة أبوابها على مصراعيها، حتى لو كان تشان حياً، فقد أصابه الكبر وأصبح طاعناً في العمر؛ ولا

Twitter: @ketab_n

شك أنه قد تزوج منذ فترة طويلة وأنسته هموم الزواج والحياة الوعد القديم بينكما، فلا داعي للشعور بهذا الحزن والانكسار إلى هذا الحد، هناك الكثيرون من الشباب الملائمين لك مقارنة بتشان، ونحن سنقوم في المستقبل القريب بإعداد ترتيبات زواجك وستشعرين بعدها باختلاف كبير وتحول جذري يغير مجرى حياتك عما هي عليه الآن».

وبدلاً من شعور بيرل بالراحة بعد هذا الحديث المطول مع والدتها، زاد حزنها وهمها بسبب ما ذكرته الأم، فلا يمكن نسيان حبها الذي بدأ منذ إقامتها في أرض الأرواح ونما في قلبها يوماً بعد يوم طوال الثمانية عشر عاماً الماضية بسهولة بعد هذا الحوار الذي أنصتت إليه منذ قليل، ونتيجة لذلك، انتكست صحة بيرل لبضعة أيام وصارت حياتها في خطر كبير.

وعلى ذلك، عقد والد بيرل ووالدتها العزم على جلب تشان إلى المنزل خوفاً من تدهور صحة ابنتهما الوحيدة ووفاتها بعدما لم يجدا أي سبيل آخر لمداواتها، ليريا ما إذا كان قدوم تشان سينقذ ابنتهما من الخطر المحقق المحدق بها وبحياتها كما ذكر الطبيب المعالج لها أم لا.

وعندئذ قام والد بيرل بالتوجه إلى النزل حيث كان يقيم

Twitter: @ketab_n

تشان وانتابته دهشة عجيبة حين رآه شاباً يافعاً في زهاء الخامسة والعشرين من عمره يرتدي أجمل الثياب وأفخمها وتنم عيناه عن ذكاء متقد، وحينها رفض الوالد لفترة من الوقت تصديق أن هذا الشاب الوسيم هو نفسه ذلك الرجل الذي ولعت به بيرل وشغفها حبه إلى أن روى له تشان قصة حياته وحبه لبيرل والعهد القائم بينهما منذ ثمانية عشر عاماً. وبعد سماع تلك القصة العجيبة، أعجب الوالد كثيراً بتشان وقرر أن يبذل أقصى ما في وسعه لإتمام زواجه بابنته بيرل.

ووجه الوالد حديثه إلى تشان قائلاً: «هلمّ بنا في الحال إلى المنزل لنرى ما إذا كان وجودك سيفيد ابنتي أكثر من جهود أمهر الأطباء في القرية أم لا، فقد شعرت بيرل بحزن شديد لعدم قدومك وهي مريضة جداً الآن ونخشى عليها من الموت بعد هذه الصدمة، أو أن ينفطر قلبها من الحزن عليك».

وعند وصول الوالد وتشان إلى البيت، اقتيد الأخير إلى غرفة بيرل التي حدقت في وجهه ثم قالت في تعجب وصوت ضعيف جداً نتيجة المرض: «لا أستطيع التعرف عليك، أنت تصغر تشان كثيراً رغم وجود بعض الشبه به، لا أستطيع أن أجزم أنك الشخص نفسه التي ارتبطت به روحي منذ ثمانية عشر عاماً داخل جدران

Twitter: @ketab_n

الدير المقدس حيث يرقد جثماني في إحدى الغرف هناك».

وتقدم تشان بخطوات بطيئة مقترباً من بيرل مفسراً لها سر هذا اللغز قائلاً: «لسنوات عديدة كان عقلي منشغلاً بفارق السن الكبير بيني وبينك عند لقائنا، وكنت أخشى عليك من صدمة مروعة حين ترين رأسي وقد اشتعل شيباً، فمال شعري نحو اللون الأبيض مع التقدم في السن، علاوة على التجاعيد الكثيرة التي تغطي وجهي، فتندمين على العهد الذي التزمنا به، وعلى الرغم من غيابك عني، فقد واظبت على تقديم صلواتي وابتهالاتي لإلهة الرحمة، التي كانت تسمعها من أجلك بينما كنت تقيمين في أرض الأرواح، والتي بعد شفاعتها لك وافق يام لو على غفران كل الخطايا التي قمت بها من قبل والعفو عنك. ولقد واظبت على أداء صلواتي لإلهة الرحمة متمنياً أن تتدخل بشكل ما لتحقق حلم حياتي بالزواج منك وإزالة أي عائق قد يكون قائماً في الوقت الذي سألقاك فيه مرة ثانية لنعيش معاً زوجاً وزوجة إلى الأبد».

«وفي أحد الأيام جاء لزيارتي جني في تلك الغرفة التي اعتدت الحديث فيها مع روحك، فحملني بعيداً لزيارة للفردوس الغربي حتى وقفت بين يدي إلهة الرحمة التي أعطتني أوامرها بالاغتسال

Twitter: @ketab_n

في ينبوع الشباب الدائم فعدت إلى مرحلة الصبا مرة أخرى، وهي الصورة التي ترينني فيها حالياً بوجه شاب وطبيعة نشطة، غير أن مشاعري تجاهك لم تتغير قطّ ولن تتغير ما دمت حياً».

وبينما كان تشان يروي هذه القصة الشيقة، امتلأت ملامح ومحيا بيرل الجميلة بالحب، وأخذت الحياة تدب في أوصالها من جديد شيئا فشيئاً، وقبل أن ينتهي تشان من حديثه، اختفى عنها تماماً الإعياء والمرض وعاد وجهها إلى بهائه ورونقه المعتاد فاكتسى بالحمرة والحيوية ولمعت عيناها السوداء من شدة السعادة.

وبكت بيرل قائلة: «لقد تأكدت الآن فقط أنك تشان، لقد تغيرت كثيراً حين رأيتك هذه المرة حتى توقف قلبي رعباً لتصوري أنك ستكون أكبر سناً، فلم أتمكن من التعرف عليك في الحال وتحديد ما إذا كنت بالفعل تشان الذي بادلني حباً بلا حدود طوال هذه السنوات الماضية».

ثم أضافت قائلة: «لم يكن حبي لك ليتغير قيد أنملة حتى لو كنت كبيراً وطاعناً في السن كما تخيلتك، فإن مشاعري لم تتبدل قط بل كانت تنمو كل يوم تدريجياً، وما جعلني أتردد حقاً هو هيئتك الحالية التي لم أستطع التعرف عليك من خلالها، أما الآن فيغمرني إحساس لا يمكن وصفه بالسعادة لما منحته لك إلهة

Twitter: @ketab_n

الرحمة من نعمة استعادة الشباب، ومن ثم لن أخشى أن يفرق اختلاف السن بيننا في المستقبل القريب».

وفي خلال أيام معدودة، استطاعت بيرل استعادة رونقها وجمالها المعهودين، وفرح والداها كثيراً بعودتها لتشان، كما شعر هو نفسه بسعادة بالغة، فرتبا لخطبتهما ثم تزوج الحبيبان في غضون أشهر قليلة وارتبطا بهذا الرباط المقدس للأبد. وعلى ذلك، فبعد سنوات طويلة من الحب والانتظار، تزوج العاشقان وحققا حلمهما بالارتباط الأبدي بمساعدة كل من السماء وإلهة الرحمة وحاكم أرض الأرواح المعتمة يام لو؛ بأن لعب كل منهم دوره المنوط بالقيام به لنجاح هذا الحلم الجميل، وانتشرت قصة الحب العميق التي جمعت بين تشان وزوجته في المنطقة التي عاشا بها واستمرت لآلاف السنين ذكرى وعبرة لكل عاشق ومحب أفنى عمره في انتظار تحقيق حلم الارتباط بمحبوبته.

Twitter: @ketab_n

الراهب الجني

في إحدى المدن الشهيرة ذات الكثافة السكانية العالية في واحدة من المقاطعات الشمالية الغربية في الصين، عاش ذات مرة رجل يدعى مينج. وكان الناس جميعًا يعرفونه، إذ لم تقتصر شهرته على المدينة فقط، ولكنها تجاوزت الأقطار المحيطة لأنه كان من أغنى التجار الموجودين في هذا المركز التجاري الرائع وأكثرها مخاطرة.

ولقد بدأ مينج حياته فتى فقيرًا معدماً، ولكنه بالمثابرة والكد وعبقريته الفذة في مجال الأعمال، استطاع أن يصعد خطوة خطوة وصولاً إلى اللحظة التي تبدأ فيها قصتنا، إذ أصاب ثراءً فاحشًا، وكانت له الريادة في كل المشروعات العظيمة التي اشتهرت بها المدينة.

ولقد اعتاد مينج أن يحوز على إعجاب كل من يلتقيهم. فلقد كان من ضمن صفاته الطيبة تمتعه بكونه صادقاً طيب القلب يكسب ود الناس ويأسر ألبابهم من حوله بسهولة، كما أن كرمه الشديد جعله عطر السيرة في المنطقة بأسرها التي عاش فيها.

Twitter: @ketab_n

ومنذ أربعين عامًا، جاء مينج إلى المدينة بحثًا عن وظيفة، وكان أبوه مزارعًا في إحدى المقاطعات البعيدة، ولكنه إذ تملكه الضجر من إيقاع الحياة الرتيب والمشكلات التي واجهتها أسرته بسبب المواسم القاحلة، قصد المدينة العظيمة ليقرر مصيره بنفسه.

ولقد كان جل ما يملكه مينج سماته الشخصية. وكان قوام مخزونه التجاري يتكون من عصا من الخيزران القوي وحبل متين، وهما من مقومات الحمال، ولكن رغبته في إرضاء الآخرين، والطريقة الممتعة التي تشي بالإخلاص في إنجازه لأعماله، أكسبتاه ود كل أرباب أعماله. وقبل مرور عدة أشهر، صار الطلب عليه هائلاً، وأخذ يدخر أموالاً تساعده على الارتقاء من مرتبة العامل العادي إلى مرتبة أصحاب الأعمال الذين يتمتعون بمكانة مرموقة في المجتمع.

ولقد كان مينج يتمتع بعقل راجح وحذق مما ساعده على استغلال أي فرصة تلوح له في مجال التجارة. ونظرًا لمزاجه المرح الودود، فقد كان كل من يشاركه أعماله لا يألو جهدًا في مساعدته على ارتقاء درجات السلم الذي عقد العزم على ارتقائه. والنتيجة أنه قبل مرور عدة سنوات، كان قد رسخ أقدامه في مجال من المجالات التجارية المربحة جدًا درّ على خزائنه ثروات هائلة يوميًا.

Twitter: @ketab_n

وفي الوقت المناسب، افتتح فروعًا له في المقاطعات النائية، فطبقت شهرته آفاق الأقاليم البعيدة في منطقة الشرق، حيث اعتبره أبرز التجار الذي كانوا يرتبطون بعلاقات عمل به العميل الأجدر بالثقة من بين عملائهم والذي يمنحونه كل ما يريد من فضل.

ولقد كانت هناك سمة واحدة مميزة جدًا لـمينج ألا وهي تعاطفه الشديد مع أقرانه من البشر. فكان قلبه من ذهب لا تفسده الثروات؛ فلم يسبق أن عاد أي إنسان يطلب مساعدته خالي الوفاض. وتقدم صاحب المحل المتعثر إلى مينج بالتماس للحصول على قرض منه عندما بدا أن الأقدار قد وقفت ضده، فحال القرض الضخم الذي أقرضه إياه مينج بلا تردد دون ضياع تجارته، وساعده على جمع شتاته ومقاومة طوفان الظروف السيئة التي ألمت به مرة أخرى. وتلك الأرملة التي تركت معدمة لم تزد عن أن قصت عليه قصتها، ففاضت عيناه بالدمع، وقام بعمل بعض الترتيبات لها ولأطفالها أزال بها شبح الفقر وغائلة العوز الذي كان يخيم عليها، وخرجت من عنده بشوشة الوجه داعية له بموفور الصحة وطول العمر بعد أن منحها بكرمه أمل في الحياة مرة أخرى.

ويمكننا أن ندرك طبيعة تفكير مينج بالنظر إلى الطريقة التي عكف بها على توزيع جزء كبير من ثروته على كل من لم يصب

Twitter: @ketab_n

حظًا في الدنيا، والتي أتت عليهم الأقدار وسحقتهم و لم تعطهم حقهم من متاع الدنيا ونعمها.

إن كرماء الصين ليسوا الأغنياء. صحيح أننا نسمع بين الحين والآخر عن تبرعات ضخمة قام بها ثري معروف، ولكن عامة الناس لا ينخدعون بمثل هذه اللفتات الكريمة المفاجئة. هنالك دائمًا دافع خفي أناني وراء كل واحد منهم على وجه التقريب، كأن يحدوهم الأمل في الحصول على منصب رسمي رفيع بكسب ود العامة واستمالتهم مما يمكنهم من تعويض أنفسهم عن أي أموال تبرعوا بها للأعمال الخيرية.

أما أفعال مينج الخيرية فلم تكن تستند إلى أي دافع خفي، بل كانت صافية خالصة، و لم يخطر بباله قط أو يجول بخاطره ولو لمرة واحدة أن يرد له أحد المعروف بأي شكل من الأشكال. فما كان يحركه سوى إحساس عميق بالمعاناة البشرية. وكانت بالنسبة له نظرة السعادة التي كانت تغمر وجوه من يقدم لهم يد العون ولمعة أعينهم الدالة على أسمى آيات العرفان وكلمات الشكر والامتنان التي تجري على ألسنتهم هي مكافأته الحقيقية على الأموال التي كان يتبرع بها لهم ويغدقها عليهم.

إن الدليل على شهرة مينج الواسعة يتضح جلياً في موقف

Twitter: @ketab_n

حدث كان مقدراً أن يكون له عظيم الأثر على نصيب ابنه الوحيد تشين الذي كانت روحه معلقة به.

ففي أحد الأيام، تلقى مينج رسالة من رأس أحد العائلات الأرستقراطية بمدينة نائية يرجوه فيها أن يوافق على إقامة تحالف معه. وزعم هذا الرجل أن له ابنة أجمع كل من رآها على أنها تتمتع بجمال فائق للعادة وأنه يتمنى أن يزوجها لابن مينج. فلقد بلغ مسامعه سمعة مينج الطيبة وأعماله الخيرية الكثيرة وحبه الصادق للناس، فصار في شدة الشوق واللهفة لمصاهرة عائلته.

وشعر التاجر الثري الذي لم يتخلّ قلبه قط عن روحه الطفولية البريئة بالسعادة من هذا العرض الذي جاء له بشكل تلقائي بعيدًا من خطط القابلات وتدبيرهن. وتأثر أيضًا بطابع الكرم الذي تجلى في خطاب المرسل، وعلى ذلك رد على هذا الالتماس بسرعة البرق. وبعد القليل من المراسلات، اتفقا على الزواج والترتيب له، وارتبط الزوجان الشابان برباط قانوني مقدس ليس في استطاعة أي محكمة في الإمبراطورية بأسرها حله.

وفي هذه المرحلة تحديدًا إذ بدا أن علاقات مينج بالآخرين في أوجها، جاءه راهب بوذي وطلب منه أن يستضيفه لأيام قلائل لأنه عابر سبيل يقصد مقامًا مقدسًا شهيرًا ونالت الرحلة الطويلة التي

Twitter: @ketab_n

قام بها منه حتى خارت قواه و لم يعد يقوى على متابعة المسير.

فمنح مينج الذي كان رجلاً متدينًا جدًا وتقياً، الشيخ أفضل غرفة عنده بالبيت، وعامله بأفضل ما يمكن أن يعامل به أمثاله من الضيوف الذين جرت العادة أن يسافروا من دير إلى دير ويقيموا لديه ليوم أو يومين قبل أن يكملوا ترحالهم.

ولقد كان هذا الراهب يتمتع بأخلاق رفيعة جدًا وكان على درجة عالية من الثقافة خلبت ألباب أسرة مينج، حتى إنه أصر على أن يطيل إقامته لديه. فما كان من الراهب إلا أن أطال إقامته فامتدت لأشهر ظل خلالها في ضيافة مينج وعومل خلالها ككبار الضيوف.

وبدا جميع من بالبيت منجذبين إلى هذا الغريب الذي كانت أساليبه في الحديث ساحرة، وكانت شخصيته تفصح عن قوة هادئة. فلقد كان ودودًا مع الجميع، ولكنه بدا مهتمًا بالابن تشين تحديدًا، حتى بعد مضي وقت ليس بالكثير استطاع أن يكون له على تشين تأثيراً هائلاً.

وجرت عادتهما أن يجوبا التلال المحيطة ويقص الراهب على تشين الحكايات المذهلة التي شهدها والمغامرات العجيبة

Twitter: @ketab_n

التي عاشها خلال أسفاره. بيد أن هدفه الحقيقي لم يكن تسلية تشين والتسرية عنه، بل تثقيفه والارتقاء بذوقه وأحاسيسه النبيلة التي غرست فيه في كل لحظة.

وكانت عادتهما أيضًا أن يعتزلا في أحد المباني الخارجية كل صباح في طرف إحدى الحدائق بجانب البيت حيث يمكنهما أن يتبادلا أطراف الحديث دون مقاطعة حول المسائل المتعددة التي كان الراهب على استعداد لمناقشتها. ولكن كان هناك أمر واحد بدا مميزًا لتشين ألا وهو أن الراهب طلب إليه أن يجمع بلاطات عجيبة الشكل ويدفنها في الأرضيات الترابية لهذه البنايات المستخدمة. وكان من الممكن أن يعترض تشين على ما بدا له تصرفًا طفوليًا، ولكن ما منعه هو الحب العميق والاحترام الشديد اللذان يكنهما لرفيقه.

وفي النهاية، جاء اليوم الذي أعلن فيه الراهب عن ضرورة رحيله واستكمال رحلته. فقد استقر لفترة أطول مما أراد بكثير على حد قوله، ويجب أن يلبي نداء الواجب وألا يتلكأ أكثر في هذا البيت الذي عومل فيه معاملة الملوك.

وبعد أن علم مينج أن الراهب قد حزم أمره وأصر على الرحيل، حاول أن يدفع إليه مبلغًا ضخمًا من المال يساعده على تحمل تكلفة

Twitter: @ketab_n

أي طارئ قد يلوح له في الأفق. ولكن الراهب رفض رفضًا قاطعًا، زاعماً أن احتياجاته بسيطة وأن المعابد التي سيمر عليها في الطريق كفيلة بسد هذه الاحتياجات في طريقه إلى وجهته.

ولم يدر مينج أن الضيف الذي كان على وشك أن يفارقه لم يكن سوى جني متخف في شكل راهب. ولكن هذه هي الحقيقة. فقد أرسل حكام الفردوس الغربي البعيد بعد أن تأثروا بشدة بمشوار حياة مينج الحافل بالأعمال الكريمة من إعانة المكروب والمحروم، من أجل عمل ترتيبات محددة كي تواجه أسرة مينج الكارثة المحققة التي ستلم بالتاجر الثري عما قريب.

وبعد أشهر قلائل من مغادرة الراهب الطيب، وقعت سلسلة من الكوارث التي كان لها أثر مؤلم على عائلة مينج. فقد أفلست العديد من الشركات التي تدين لـمينج بأموال طائلة فجأة ومن دون سابق إنذار، فوجد نفسه رهين أزمة مالية لا يحسد عليها، حتى إنه أخفق في سداد ديونه.

ونتيجة لذلك، ضاع كل ما يملكه، وبعد أن سدد جميع ديونه لم يجد في جيبه قرشًا واحدًا. ولقد جثمت هذه الأزمة على صدره حتى أنه سقط صريع المرض، وبعد أيام قلائل من الأسى الشديد، صعدت روحه إلى أرض الأرواح، وترك ابنه وزوجته إلى الوحدة والحرمان.

Twitter: @ketab_n

وبعد فترة من الوقت، فكر تشين في الرجل الثري رفيع المقام الذي كانت لديه رغبة في مصاهره أبيه بعقد قران تشين على ابنته، وبعد أن تشاور مع أمه التي كانت جريحة القلب كسيرة الفؤاد، شق تشين طريقه إلى المدينة البعيدة التي يعيش فيها حماه المقترح. وكان أمل تشين أن يتأثر قلب هذا الرجل بالكوارث التي حلت بأبيه فيرقّ له قلبه ويمد له يد العون في ساعة العسرة هذه التي بدا أن السماء تخلت فيها عنه وأنزلت عليه أزمات متلاحقة لم تكن لتصيب أسوأ الرجال وأشرهم نفسًا.

وبعد أن أضناه التعب ونالت منه مشقة الرحلة الطويلة التي اضطر أن يقوم بها راجلاً، وصل ذات يوم وقت الظهيرة إلى أبواب القصر التي تؤدي إلى الساحة الشاسعة للبيت المهيب حيث يعيش حماه المستقبلي. ولكن الأبواب كانت موصدة بإحكام شديد كما لو أن عدوًا لدودًا من المتوقع أن يظهر في أي لحظة ليستحوذ على كل الممتلكات الموجودة.

ونادى تشين حارس القصر بكل ما أوتي من قوة، ولكن لدهشته الشديدة أجابه الحارس بأنه لديه أوامر مشددة من صاحب القصر بمنعه من الدخول تحت أي ظرف.

فبادره تشين بالسؤال قائلاً: «ولكن، هل تعلم من أنا؟ ألا

Twitter: @ketab_n

تعلم أن الرجل الذي يملك هذا المكان هو حماي؟ وأن ابنته هي زوجة المستقبل؟ ولذا، فمن العيب أن تدعني أنتظر هكذا على الأبواب بينما يجب أن ألقى الاستقبال الذي يليق بأي صهر».

فأجاب الحارس الواثق من كلامه: «ولكنني تلقيت تحذيرًا بشأنك خاصة. إنك تتحدث عن المصاهرة، ولكنك واهم إذا كنت تعتقد أن أي مصاهرة من أي نوع ستتم في هذا البيت. فقد بلغت سيدي أنباء إفلاس والدك ووفاته، فأعلن بوضوح أنه لا يود أن تربطه أي صلة بأشخاص تحوم حولهم الشبهات أو فقدوا كل ثروتهم».

ولقد ذعر تشين الذي ورث عن أبيه روحه الطيبة السخية من هذه الكلمات حتى أنه فر من أمام البوابة وقد عقد العزم على أن يتحمل أي مهانة على ألا يقبل إحسان من مثل هذا الرجل الخسيس.

وإذ كان يعبر الطريق مفطور الفؤاد مكتئبًا، كسير الجوانح يائساً، وفاقداً لأي أمل في العودة إلى بيته، أشارت إليه سيدة تسكن أحد الأكواخ على جانب الطريق بالدخول والجلوس لديها.

وبادرته تلك السيدة قائلة: «سيدي، تبدو عليك أمارات الأسى والحزن. ومن الواضح أنك منهك كأنك قطعت رحلة طويلة جدًا. لقد كنت وأطفالي على وشك تناول طعام الغداء

Twitter: @ketab_n

الآن، ويسعدنا أن تشاركنا الزاد. لقد رأيتك وأنت واقف أمام بوابة هذا الرجل الثري، ورأيت كيف عوملت بمنتهى القسوة. لا تحزن. فالسماء تعلم أنهم أخطأوا في حقك، وستقتص لك في الوقت المناسب».

وبعد أن ارتاح تشين للكلمات الودودة والاستقبال الأمومي الذي وجده عند هذه المرأة الفقيرة، بدأ رحلة العودة، وبعد معاناة طويلة وصل إلى بيته أخيرًا. ووجد أمه وقد أصابها فقر مدقع ونهشت في جسدها غائلة العوز والحاجة فنالت منها، علاوة على حزنها الشديد على فقد زوجها النبيل.

وبعد أن منع تشين من دخول بيت حماه مباشرة، علمت ابنة الأخير زنبقة الماء بالطريقة المهينة التي عُومل بها تشين، فاجتاحها غم عظيم وشعور بالأسى الشديد، فتوسلت إلى أمها باكية أن تحدث أبيها بالنيابة عنها، وتحثه على الإعراض عن فكرة ترتيب زواجها من ابن أحد الأثرياء بالجوار.

وطفقت زنبقة الماء تقول: «لأبي أن يخطط ما يشاء للعثور على زوج آخر لي، ولكنني لن أوافق على الزواج سوى من تشين. فقد أقيمت جميع المراسم والطقوس وتليت كل العهود التي تجمع بيني وبينه وتربطني به برباط مقدس طالما حييت،

Twitter: @ketab_n

ونبذه بهذه الطريقة البشعة بسبب الكارثة التي حلت بأسرته سيجر علينا غضب الآلهة التي ستزورنا لا محالة إذا حاولنا أن نتصرف بطريقة مخالفة لإرادتها وقوانينها».

و لم يكن لرجاء زنبقة الماء وتوسلاتها أدنى صدى أو أثر على أبيها و لم تجد لديه آذاناً صاغية لكل ما ساقته من مبررات لرفضها الزواج بغير تشين، بل على العكس، فلقد دفعت تصرفات الابنة الأب إلى التعجيل بترتيبات زواج ابنته من المرشح الجديد إذ كان متلهفًا على زواجها كي يسد على تشين البائس الطريق فلا يرجع ويطالب بها كزوجة له.

وكانت الابنة وكأنها قد ورثت عن أبيها صفات العند والتصميم والثبات على الموقف في سبيل بلوغها لهدفها وكان تشددها في موقفها مثل تشدد أبيها في موقفه المخزي، وعندما أدركت أن كل توسلاتها لم تحرك مشاعر أبيها قيد أنملة، وأنه في غضون أيام معدودات سيظهر كرسي العرس القرمزي على باب بيتها ليحملها إلى بيت زوجها الجديد، قررت أن تقدم على أفعال بطولية للحيلولة دون حدوث هذه المأساة.

وفي صباح اليوم التالي، ومع بداية انقشاع ظلمة الفجر وبزوغ أشعته الذهبية، بدأت البوابة الجانبية لقصر الرجل الثري

Twitter: @ketab_n

تنفتح بحرص شديد، وخرجت منها شحاذة بشعة المنظر إلى الشوارع الرمادية، وتقدمت بخطوات سريعة نحو المدينة.

لقد كانت هيئتها تشي بأنها من أكثر الشحاذين المعدمين الذين يمكن أن يصادفهم المرء في ثكناتهم التي يتجمع فيها هؤلاء المنبوذون التعسون. وكانت ترتدي أسمالاً بالية بدا أن قوة خفية هي التي تمسك بخيوطها وتحول دون انفصام عقدها، وشعرها مربوطًا في شكل عقد عشوائية كأن مشطًا لم يمسسه من قبل ليعيده إلى شكله الطبيعي. وكان وجهها ملطخًا بالأوساخ؛ فها هي لطخة سوداء كبيرة تغطي إحدى أذنيها حتى أنها طمستها عن أعين من يجشم نفسه عناء النظر إليه نظرة عابرة.

لقد كانت كائنًا يخلو من أي جاذبية ككل، ومع ذلك فهي أجمل امرأة في هذه المنطقة فهي لم تكن سوى زنبقة الماء، جميلة جميلات المدينة باعتراف الجميع، والتي تنكرت هكذا كي تفر من المصير الذي أعده لها والدها.

ولأشهر طويلة، سافرت زنبقة الماء وعانت الأمرين من المشقات الهائلة التي جابهتها في الطريق، وخاضت مغامرات مثيرة إذا عنَّ لأحد الكُتَّاب البارعين أن يجمعها في مؤلف واحد لأبهر القراء بشجاعة وجسارة هذه الفتاة. فعلى الرغم من نشأتها

Twitter: @ketab_n

المترفة وتوافر كل ما يطيب لها، فقد تحملت المهانة والحرمان اللذين يميزان حياة الشحاذين وفضلتهما على هوان خيانة الرجل الذي آمنت بأن السماء قد منحتها إياه زوجًا.

وذات ليلة من الليالي، بينما كان الظلام الدامس يسدل ستائره على الساحة الخارجية للبيت البائس الذي يعيش فيه تشين، وقفت شحاذة بائسة المظهر بحياء أما البوابة الأمامية محدقة بنظرات كلها شوق نحو الغرفة المطلة على الشارع. ولم تصدر صوتًا ولا لفظت بكلمة واحدة تدل على أنها جاءت إلى هنا طلبًا للإحسان.

وبعدها بدقائق معدودة، خرجت أم تشين من غرفة بالجانب الآخر من البيت. وعندما رأت هذه المخلوقة البائسة المحرومة تقف في صمت كما لو كانت تخشى أن يقذفها أحد بكلمة جارحة، شعرت نحوها بعطف جارف فاتجهت نحوها وأخذت تواسيها بكلامها الحنون.

ولدهشتها، تأثرت هذه المخلوقة الملطخة بالأوساخ تأثرًا شديدًا بالطريقة الأمومية الحنونة التي عاملتها لها. وسالت الدموع على الوجه القذر تاركة خلفها مسارًا ناصع البياض. لقد كانت الدموع تخنقها حتى أن جسدها ظل يتشنج من فرط

Twitter: @ketab_n

النشيج واعتصرت يديها كأن حزنًا شديدًا يسكن قلبها.

لقد تأثرت السيدة مينج بمظهر هذه المرأة البائسة أيما تأثر، وبينما كانت تنظر إليها نظرة تعاطف شديد، سقطت أرضاً الخرقة التي كانت تخبئ وجه الشحاذة وتشوهه.

وكان وقع المفاجأة مذهلاً.

فقد تجلت عينا الفتاة السوداوين اللوزيتين اللتين يندر أن يضارعهما جمالاً أي شيء أمام السيدة مينج المذهولة. فدققت النظر إليها، ووجدت أنها تتمتع بملامح خلابة تشبه تلك التي يتحدث عنها شعراء الصين وينسبونها إلى جميلات الإمبراطورية الفاتنات.

فقالت لها بعد أن ربتت على كتفيها بحنو وعطف: «قولي لي من أنت. فأنا يستحيل أن أصدق أنك شحاذة. لابد من أنك ابنة أحد النبلاء، ولابد أنك أتيت هنا متخفية في هذا المظهر البائس هربًا من شر عظيم».

واستطردت الأم قائلة: «ثقي بي يا عزيزتي، وسأمد إليك يد العون كما يجب أن تساعد أي امرأة غيرها من النساء. دعينا نتحدث يا طفلتي ونضع خطة يمكنني من خلالها مساعدتك

Twitter: @ketab_n

لأنني أشعر بأن قلبي يرتاح إليك أكثر من أي شخص غريب قابلته في حياتي».

وبعد إلقائها تلك الكلمات الحانية على مسامعها، قادتها السيدة مينج إلى غرفة النوم حيث نضت زنبقة الماء عنها لباسها الخارجي الذي أظهرها للعامة بمظهر الشحاذة، وأخذت تقص قصتها الرائعة على السيدة مينج، فكشفت عن هويتها وعرفتها أنها زوجة ابنها.

ولكن، وعلى الرغم من أن وصولها الرومانسي إلى هذا البيت البائس الكئيب ضخ في البيت دفقة من السعادة المفاجئة، ظل السؤال الحيوي معلقًا: كيف يمكنهم العيش في هذه الظروف؟ فلم يكن هناك لديهم أي دخل، وكانوا بالكاد يستطيعون تلبية أبسط حاجاتهم ببيع البيت الذي يعيشون فيه.

وتم مناقشة هذه الخطة في نهاية المطاف، واستقرّ الرأي على بيع المباني التي عكف تشين والراهب البوذي الذي زارهم ذات يوم على التردد عليها يوميًا في بداية الأمر.

ولكي يستطيع تشين تقدير تكلفة هذه المباني الخارجية، خرج للتحقق من أحوالها حتى يستطيع تحديد سعر لها. بما أن هذه

Twitter: @ketab_n

المباني لم تستخدم لفترة طويلة جدًا، فوجدها وقد نمت الأعشاب من حولها، وبدت في حالة هالكة لدرجة أن تشين خاف أن تتدني قيمتها في السوق.

وعندما حاول أن يدخل أحد المباني من أحد الأبواب المفتوحة أعاقته عن الدخول كرمة معترشة، فنظر من حوله وطغى عليه إحساس بالإحباط جعل قلبه ينقبض ويخفق بجناحي اليأس والقنوط.

وكان الهواء بالداخل رطبًا عطنًا، وكان العفن الأبيض ظاهرًا على الجدران كأنه يريد أن يضفي على المكان المعتم لونًا باعثًا على الحياة. ومدت عناكب ضخمة خيوطها بين العوارض الخشبية داخل المبنى، بينما حاولت العناكب الصغيرة بخيوطها المغزلية الرقيقة تجميل زوايا النوافذ التي جاهد نور الشمس للنفاذ من بينها إلى الغرفة الكئيبة.

وإذ فتح النافذة على مصراعيها كي يسمح إلى نور الشمس بالدخول بقدر المستطاع، اقتنع تشين بأن قيمة السوق لهذا الجزء المحدد من ممتلكاته لن تذكر، وأنه ما لم يجر بعض الإصلاحات باهظة التكلفة، فمن المستحيل أن يغري مثل هذا المكان أي شخص بفكرة شرائه قط.

Twitter: @ketab_n

وبينما هو يفكّر تفكيرًا عميقًا في المشكلة التي تواجهه، لاحظ تشين بطرف عينه وميضاً فضياً من جزء من الأرضية الترابية حيث بدا أن حيواناً ما انسل ونبش سطح الأرض.

وعندما نظر إلى هذا الشيء الأبيض اللامع الذي لفت انتباهه بشدة، أدرك تشين أنها إحدى البلاطات التي جعله الراهب البوذي يدفنها في الأرض، وعندما التقطها من الأرض اكتشف أنها تحولت بشكل غامض عجيب إلى فضة خالصة! وإذ أخذ يحفر الأماكن التي دفن فيها البلاط، اكتشف أن العملية نفسها تكررت مع جميع البلاطات التي دفنها تحت الأرض في هذه البناية التي تبدو عتيقة ولا نفع ولا طائل من ورائها.

وبعد قضائه عدة أيام في نقل الكنز إلى مكان آمن بالبيت، أدرك تشين بعملية حسابية تقريبية أنه صار يمتلك ثروة تقدّر بالملايين، وأنه تحول من أفقر شخص بالمدينة إلى واحد من الأثرياء المعدودين فيها الذين يملكون ثروات طائلة.

وهكذا أبدت الآلهة تقديرها للحياة النبيلة التي عاشها السيد مينج، وعطفه الشديد على الفقراء والمحتاجين وقد رفعت مكانة عائلته بعد أن هوت إلى بئر الحرمان إلى مكانة أعلى مما كانت عليه في حياته.

Twitter: @ketab_n

الثوب الغامض

تركت تلك الزيارة السريعة الخاطفة التي قام بها الإمبراطور لي شيه مينج إلى أرض الأرواح انطباعًا عميقًا في خلده. فلقد استحضرت تلك الآلام وذلك البؤس والشقاء الذي يضطر الرجال إلى تحمله هناك بسبب الأعمال الشريرة التي ارتكبوها في حياتهم بملء إرادتهم الصور الحية أمام ناظره. ورأى بأم عينه ما لم يكن يرغب في تصديقه، وهو أن أفعال الشر تتبعها العقوبات دومًا إما في هذا العالم أو في العالم الآخر.

ولقد صار الإمبراطور على اقتناع تام بأن منهج الحكماء في هذا الصدد هو عين الحق، فلقد شهد بنفسه تلك الأمور البشعة التي يعانيها المجرمون الذي هربوا من العقاب في هذه الحياة عندما أصبحوا تحت رحمة وسيادة يام لو.

وما كان يؤرقه حقًا هو تلك الفكرة الكئيبة التي سيطرت عليه و لم تخبو جذوة نارها البتة في نفسه، وهو أن عدداً كبيراً من أولئك الذين يسكنون أرض الأرواح من أولئك الذي يعانون

Twitter: @ketab_n

الجوع والعري، كانوا هناك نتيجة لقسوته وظلمه، وأن صرخات الرجال والنساء المظلومين والتي ستبلغ عنان السماء سوف تجعل الانتقام يحل به في الوقت المناسب إن آجلاً أو عاجلاً.

ومع خوفه من الحكم القادم، اختلطت الأمور بعقله ما بين الخوف من العقاب بسبب دعاء المظلومين عليه والشفقة لحالهم مع ما يقاسوه من أهوال بسببه، فقد كان يشعر بالأسى لهؤلاء الفقراء البؤساء الذين رآهم في مدينة المظلومين فقد مس روحه بشدة كثرة لومهم ووعيدهم بانتقام السماء.

ولذلك فلقد قرر الإمبراطور أن ينشئ خدمة رائعة لأرواح الموتى الذين فقدوا حياتهم أو الذين يعانون من الصعوبات التي لا توصف في العالم الآخر وذلك نتيجة لظلم الحكام أو للقانون العقيم أو لارتكابهم خطيئة الانتقام بأنفسهم لما قد أصابهم. فلقد أمر بأن تتلى الصلوات على أرواحهم البائسة مما قد يؤدي إلى منح النعم والهبات على أرواحهم المزهقة، ويمكن بمرور الوقت أن تفتح هذه الصلوات طريق المغفرة لهذه الأرواح مرة أخرى والسماح لإعادة ولادتها من جديد في عالم البشر.

وعلى ذلك فقد قرر أن يسترضي كافة الأشخاص الذين جرحهم وفي الوقت نفسه كسب كمية من الحسنات نتيجة لإحسانه، لكي

Twitter: @ketab_n

تسهل عليه الآلهة الأمر عندما تحين ساعته، وتكون سجلات حياته قد كُتبت من جديد بعد إضافة بعض الحسنات إليها مما قد يؤدي إلى توازن هذه السجلات مع سيئاته المرتكبة من قبل.

وبما أن هذا الاحتفال كان من المقرر أن يختلف عن تلك الاحتفالات التي عقدت في أي وقت في تاريخ الصين، فلقد كان الإمبراطور حريصاً على ألا يكون القائد والمدير المسؤول عن هذا الاحتفال من أولئك الرجال غير المبالين الذين عادة ما يتواجدون في المعابد البوذية والأديرة. بل لابد من أن يتمتع مثل هذا الرجل بشخصية متميزة، ويجب أن يكون نقيًا وألا تشوبه شائبة تبعده عن السمعة القدسية التي حصل عليها.

وبالتالي فقد أرسل جلالته مراسيل إلى كافة نواب الحاكم في الإمبراطورية، يأمرهم فيها بنشر إعلان في طول البلاد وعرضها، يخبرون فيها الناس بذلك القداس الديني العظيم الذي سيقام في العاصمة للأرواح الشقية في أرض الأرواح. وفي هذه المراسيم أعلن البحث عن راهب ذي صفحة بيضاء، شخص يكون قد أثبت حبه لرفاقه من خلال أعماله التي تنم عن التعاطف معهم والرفق بهم. وسوف يُستدعى هذا الرجل أمام الإمبراطور ليتولى أمر ذلك القداس الكبير الرائع الذي صمم من قبل الحاكم الأعلى نفسه.

Twitter: @ketab_n

ولقد انتشرت أنباء ذلك المفهوم النبيل الذي يؤمن به لي شيه مينج بسرعة هائلة في أرجاء البلاد حتى وصلت إلى الفردوس الغربي، حيث تكون تلك الكائنات الغامضة التي توجد في أرض السعادة على أهبة الاستعداد للترحيب بأي عمل جديد من شأنه أن يخفف معاناة البشر. ولقد علقت إلهة الرحمة أهمية كبرى على هذه المناسبة حتى إنها قررت أن تتحمل جزءاً من المسؤولية عن ذلك القداس المميز من خلال توفير الأثواب المناسبة التي سيرتديها القائد المسؤول عن هذه المناسبة العظيمة.

وهكذا وفيما كانت عقول الناس مشغولة ومتشوقة لهذا الاحتفال المتوقع للموتى، ظهر راهبان فجأة في شوارع العاصمة، ولم يكن أحد قد رأى من قبل ذلك الطراز القديم غريب الشكل من الرهبان. وكان مظهرهما الخارجي يوحي بالتواضع وعدم التميز إلا أن الأثواب المميزة التي كانا يرتديانها كانت تحمل آثار السفر ولم تكن نظيفة، وكان من الواضح أنها لم تغسل منذ أيام عديدة.

ونظر إليهما الناس باستغراب وهما يمران على الطريق، فقد كان هناك أمر غريب بشأنهما، وكانا يبدوان كأنهما آتيان من الأزمان الغابرة وانطلقا فجأة إلى حضارة قد تخطت بمراحل عديدة تلك الحضارة التي ينتميان إليها. ولكن سرعان ما تناسى

Twitter: @ketab_n

الناس ذلك المظهر الغريب لهذين الرجلين وراحوا يتساءلون عن تلك الأشياء التي يحملونها معهما. فلقد كانت تلك الأشياء ملفوفة بعناية لحمايتها من الأتربة والأوساخ، وذلك على الرغم من استعداد الراهبين التام للكشف عن تلك الأشياء الملفوفة لأي شخص يرغب في رؤيتها.

وكانت تلك الأشياء الثمينة التي يُحتفظ بها بعناية فائقة عبارة عن قبعة وثوب كتلك التي يرتديها رئيس الدير في المناسبات التي يقوم فيها الدير البوذي بعقد الاحتفالات الخاصة بالأحداث التي تحتل أهمية خاصة. كما كان هناك أيضًا صليب مزدان بالأحجار الكريمة ليليق بأرفع الدرجات في الدير في أي قداس خاص. وما وما يسترعي الانتباه في هذه القبعة وذلك الثوب هو جمالهما الرائع. فلقد استرعى ثراء النقوش الموجودة عليهما، وتصميماتهما الجذابة، والمزج الرائع ما بين الألوان، والعرض الرقيق للإعجاز العقلي انتباه كافة الطبقات حتى الطبقات الدنيا من الأشخاص الذين تجمعوا حول الراهبين للتطلع إلى تلك القبعة وذلك الثوب والانبهار والإعجاب يعتلي وجوههم.

ولقد استطاع المشاهدون أن يعرفوا بغريزتهم أن تلك الملابس النادرة الغريبة لم تكن مصنوعة على أي منوال موجود في أنحاء

Twitter: @ketab_n

الإمبراطورية. فإن عقل الإنسان ويداه لم يصمما قطّ و لم يتوصلا إلى تلك الألوان الرائعة كتلك التي تراها أعينهم، فقد كانت تتميز بالرقة والجمال الذي لم تتسم به أي من أعمال الفنانين من قبل حتى فناني الماضي التليد.

وما لبث أن سمع الرهبان من معابد وأديرة العاصمة المختلفة بتلك الأخبار التي انتشرت في المدينة عن الثوب والقبعة الرائعين، وقدموا بأعداد كبيرة لرؤية ما يعرضه هذان الشخصان غريبا الأطوار لكل من يرغب في ذلك.

وعندئذ وجه أحد الرهبان الموجودين في المدينة حديثه إلى الرجلين متسائلاً: «هل ترغبان في التصرف وبيع هذه الأشياء التي تمتلكانها؟».

وكانت الإجابة التي أتته منهما هي: «إذا ما استطاع أحد أن يدفع السعر الذي لن نبيع إلا به، فسيسعدنا أن نتصرف فيها ونبيعها إياه».

وعندئذ سأل الراهب بشغف: «وما عساه قد يكون هذا السعر يا ترى؟».

وهنا أجابه أحد الرجلين قائلاً: «القبعة والثوب سيباعان في

Twitter: @ketab_n

مقابل أربعة آلاف تايل[1]، أما الصليب المصنوع من تلك التحف النادرة فسوف يباع بالمبلغ ذاته أيضاً».

وعند سماع ذلك السعر، ضجّت الحشود بالضحك، ففي ذلك الوقت كانت ثمانية ألف تايل ثروة طائلة وكبيرة لم يكن ليقدر عليها سوى رجل واحد أو اثنين من أغنى رجال الدولة. وما لبث أن ساد السكون بعد ذلك المرح الصاخب الذي تفشى بين الجموع بعد إعلان المبلغ الذي يطلبه الغريبان في مقابل هذه الأشياء، عندما واصل أحدهما شرحه للأمر قائلاً إن الأموال المطلوبة مقابل هذه الأشياء يفترض أن تكون واقية كي لا تقع هذه الملابس المقدسة في يد أي أحد لا يستحق امتلاكها.

واستطرد الغريب كلامه قائلاً: «أنتم تعرفون تمام المعرفة أن جلالة الإمبراطور سيقيم قداس للموتى وهو أمر يحتل أهمية كبرى ليس فقط للأرواح التي تعاني في أرض الأرواح وإنما كذلك لمصلحة الإمبراطورية الصينية ورخائها. ولقد صدرت المراسيم بالفعل لتأمين وجود راهب تقي يستحق الإشراف على هذه الصلوات التي ستتلى على أرواح الرجال والنساء الذين يعيشون حياة بائسة في الأرض التي يحكمها يام لو».

(1) عملة صينية قديمة (م).

Twitter: @ketab_n

وسرعان ما انتشرت قصة الغريبين بين منازل جميع الطبقات في العاصمة، وعندما تبيّن أنه لا رغبة لديهما في جني المال من وراء بيع تلك الأشياء النادرة والجميلة، أحاطت بهما هالة من الرومانسية وصارت الجموع تحتشد حولهما كلما ظهرا في أي مكان لعرض ما يملكانه للعامة. وهمس الرجال لبعضهم بعض بأن هذين الغريبين ليسا من المقيمين على الأرض، وإنما هما من أهل جن وقد جاءا متخفيين بهذه الثياب، وقد أتيا كرسل من إلهة الرحمة. ولم يكن أي من البشر الفانين ليملك أياً من تلك الملابس التي كانت معهما من قبل وبدا أنها مخصصة لتلك الاحتفالية الخاصة ذات الأهمية الكبرى التي يخطط الإمبراطور لإحيائها.

وبعد فترة ليست بالطويلة من انتشار الشائعات الخاصة بالمشاهد الغريبة لهذين الغريبين وصلت تلك الشائعات إلى القصر وأرسل لي شيه مينج مسؤوليه كي يستدعوا هذين الراهبين للمثول أمامه.

وعندما حضرا إليه ورأى الإمبراطور ذلك الثوب الرائع المزين بالألوان الرقيقة، تلك الألوان التي لم تُعرف في أي من التصميمات البشرية من قبل، وعندما أمسك الصليب الذي برق

Twitter: @ketab_n

ولمع بتلك الجواهر التي تزينه، شعر الإمبراطور بأن الآلهة غير المرئية قد وافقت على إحيائه لذلك القداس الذي سيقيمه للموتى حتى إنها أعدّت الملابس لذلك الرجل التقي الذي سوف يحتل ذلك المنصب المميز بالإشراف على ذلك الحفل.

وقال الإمبراطور للرجلين الذين وقفا أمامه باحترام شديد: «لقد سمعت أنكما ترغبان في الحصول على ثمانية آلاف تايل في مقابل بيع هذه الأشياء».

وعندئذ بادره أحد الرجلين الإجابة قائلاً: «لسنا نطمع يا جلالة الإمبراطور في الأموال، و لم يكن هذا هدفنا منذ البداية، فهذا السعر لا يحتل أي أهمية بالنسبة لنا، وإنما ذكرنا ذلك المبلغ الكبير لمنع أي كان من أن تسول له نفسه بأن يكون المالك لهذه الأشياء القيمة».

واستطرد الرجل في حديثه قائلاً: «هناك سمة خاصة تميز ذلك الثوب فالشخص الذي يتميز بقلب نقي ويرتديه سوف يحفظه هذا الثوب من أي التعرض لأي من الكوارث التي قد تحل به في هذا العالم، كما أنه لن يعرف الحزن له طريقًا، كما أن خطط أكثر الأرواح شرًا لن تؤثر فيه على الإطلاق، وعلى الجانب الآخر، إذا ما تجرأ أي شخص واقع تحت تأثير

Twitter: @ketab_n

الرغبات الدنيا على ارتداء هذا الثوب الغامض، فسوف يتعرض لكافة المصائب والأحزان التي لن تتركه إلا بعد أن يخلعه عنه وينحيه جانبًا إلى الأبد.

واختتم الرجل حديثه قائلاً: «ولقد أتينا إلى هنا بالفعل كي نساعد جلالتك في العثور على ذلك الشخص النبيل الذي لا تشوب حياته شائبة والذي يستحق أن يرأس ذلك القداس الذي تنوي إقامته للأرواح الشقية في أرض الأرواح. وعندما نعثر عليه سنعتبر أن مهمتنا قد انتهت وسوف نعود لنعلن عن النجاح الذي حققناه».

وفي تلك اللحظة وصلت وفود من كبار المسؤولين في البلاد وقدموا إلى الإمبراطور، وكان الخبر الذي في جعبتهم هو أنهم استطاعوا العثور على الرجل المناسب للمهمة، وأن جميعهم يوصي بأن سام شاونج هو الرجل الوحيد في البلاد الذي يليق بأن يكون الراهب المهيب في ذلك القداس العظيم. وبما أنه تصادف وجود سام شاونج في العاصمة، تم الإرسال في طلبه، وبعد أن اعتُمد من قبل جلالة الإمبراطور، عُيّن على الفور في ذلك المنصب المقدس. وقد بدا الوحيد الذي يستحق هذا الشرف من بين كافة رجال الدين الموجودين في الصين في ذلك الوقت.

Twitter: @ketab_n

وعبر الراهبان اللذان كانا يشاهدان المراسم بشغف وكانت عن شدة سعادتهما بهذا القرار، وتقدما نحو سام شاونج على نحو رسمي وقدما له الملابس الثمينة التي أثارت إعجاب كل من شاهدها. ولقد رفضا الحصول على أي مقابل في سبيل الاستغناء عن تلك الأشياء القيمة، ثم انحنيا باحترام أمام الإمبراطور وانسحبا. وما إن خرجا من باب غرفة الجماهير وأغلق هذا الباب خلفهما حتى اختفيا عن أنظار الجميع و لم يعد يظهر لهما أي أثر.

وفي اليوم الموعود الذي حدّده الإمبراطور، تجمعت الحشود كما لم تجتمع من قبل في تاريخ الصين. وحضر الرهبان من كل حدب وصوب من الأديرة البعيدة إلى هناك مرتدين أفضل ما لديهم من ثياب. وتحمل الرهبان من المسنين الذين ملأت التجاعيد وجوههم صعوبة السفر عبر الأودية والبحار ومقابلة الأخطار في كل البلاد والأقطار حتى ينعموا بشرف حضور تلك المناسبة المهيبة، كما حرص الرهبان الشبان في ثيابهم المقلمة المجيء عبر التلال والجبال في الشمال لحضور المناسبة عينها، واتخذوا مواقعهم في ذلك المبنى الهائل. أما علية القوم في البلاد والذين اشتهروا باتقاد حماسهم وانتظامهم في حضور حفلات الدير

Twitter: @ketab_n

البوذي كما اشتهروا بعطاياهم السخية إلى المعابد والأضرحة، فقد حضروا مع حواشيهم وأتباعهم لإضفاء المزيد من الروعة والرونق على تلك المناسبة.

ولكن الإمبراطور لي شيه مينج كان هو الشخص الذي يحظى بمحور الاهتمام والمجد الأعلى في ذلك اليوم، وكان محط أنظار جميع المجموعات المحتشدة. فلم يكن أحد قد سبق ورآه في مثل هذا البهاء كما ظهر في تلك المناسبة. وبالقرب منه وقف أمراء الأسرة المالكة، وكبار مسؤولي الدولة، وأعضاء مجلس الوزراء في ملابسهم البهية الرائعة. كما جلس نواب الحاكم في الأقاليم وكبار قادة الجيش، الذين ذاع صيت أعمالهم الشجاعة وترددت أصدائها في كل مكان بالإمبراطورية خلف ذوي الألقاب النبيلة في البلاد.

كما حضر بعض أشهر الدارسين والعلماء المتواجدين في الصين، والذين على الرغم من عدم انتمائهم إلى الدير البوذي شعروا أنه لن يكون من اللائق رفض الدعوة التي وجهها إليهم الإمبراطور وتفويت الفرصة على أنفسهم كي يشهدوا مثل هذا الاحتفال المهيب.

وباختصار شديد، فقد تجمعت زهرة الإمبراطورية وصفوتها

Twitter: @ketab_n

لذلك الغرض السامي المتمثل في إنقاذ أرواح الموتى من حالة الشقاء التي لا تحتمل والتي لا يمكن لأحد أن يخفف عنهم فيها سوى الأحياء.

وكانت أجل اللحظات في ذلك الاحتفال على الرغم من ذلك هو عندما سار سام شاونج ومعه أكثر من مئة رجل دين من المعروفين بعلمهم وتقواهم على مستوى الدير، في ذلك الموكب الوقور، وهم يترنمون بالأدعية واتخذوا مكانهم على تلك المنصة العالية التي قاموا من خلالها بإجراء ذلك القداس للموتى.

وفي أثناء الاحتفال، ولدهشته شاهد لي شيه مينج الرجلين اللذين منحا الملابس السحرية لسام شاونج، وعلى الرغم من انضمامهما واندماجهما في المشاعر، إلا أنه لم يستطع إلا أن يلحظ نظرة عدم الرضا والازدراء التي خيمت كظل على وجهيهما من حين لآخر.

وعند قرب انتهاء القداس، استدعاهما الإمبراطور للحضور أمامه، وأعرب لهما عن دهشته من موقفهما، وعندها أخبراه أن عدم الرضا نابع من شعورهما بعدم ملاءمة الطقوس للمناسبة. لقد لفها الوقار وبعدت عن معناها الأصلي، وبذلك على الرغم من أنها قد تخفف عن الأرواح الموجودة في أرض

Twitter: @ketab_n

الأرواح من ذلك القداس الذي أدي لهم إلا أنها سوف تفشل في أهم جزء على الإطلاق وهو إنقاذهم من إله الموت وإعادة بعثهم إلى أرض الأحياء.

وسرعان ما أدرك الإمبراطور أن ذلك الأمر سبب الكثير من القلق والمخاوف لإلهة الرحمة، ذلك أنه في منتصف المحادثة، تردد صوت في أرجاء القاعة الكبيرة يقول «أرسلوا سام شاونج إلى الفردوس الغربي للحصول على الطقوس التي ستمنح له والتي تستحق أن تتغنى بها الأمة».

وورود مثل هذا الأمر من الإلهة التي لم ترها الأعين ترك أعظم الأثر في نفس الإمبراطور حتى إنه اتخذ الإجراءات الفورية للإعداد لمغادرة سام شاونج في رحلته المهمة، وفي غضون أيام قليلة، وبعد تزويده بكل ما يلزم للقيام بمثل هذه الرحلة التي تنطوي على الكثير من المخاطر والتعب، اتخذ رجل الدين الشهير طريقه في سبيل تلك الرحلة البرية الخيالية بحثًا عن ذلك الشيء الذي كان ليراه الآخرون ممن يتمتعون بإيمان أقلّ بأنه مهمة أقل ما يمكن وصفها به بأنها فوق طاقة البشر.

وعين الإمبراطور رجلين ليصطحباه في رحلته الطويلة التي يقوم بها بأمر من إلهة الرحمة ليوفرا له الحماية في الطريق

Twitter: @ketab_n

وليخدماه. وكان الإمبراطور يرغب في أن يرسل معه كتيبة كاملة من الجيش، لو كان سام شاونج سيقبل بذلك ولكنه أبى إلا أن يصطحب معه رجلين فقط. فقد كان يعتمد في الأساس على ثوبه السحري الذي حصل عليه والذي يحميه من خطر الأعداء الذين قد يصادفونه على الطريق. بالإضافة إلى ذلك، فقد أكد للإمبراطور أن رحلته هي رحلة السلام والنوايا الحسنة ولن يتماشى مع رغباته أو مع رغبات الآلهة أن يكون في موقف يجعله يصحح أخطائه من خلال التضحية بحياة الآخرين.

وقبل انقضاء عدة أيام، بدأ سام شاونج يدرك طبيعة المهمة المحفوفة بالمخاطر التي نذر لها. وفي ظهيرة أحد الأيام، كان المسافرون يسيرون جميعاً وآيات السعادة تنطق من ملامحهم في منطقة برية غير مستقرة، وفجأة هبط عليهما عفريتان بشعا المنظر. وقبل أن ينطق المخلوقان ببنت شفة ابتلعا رفيقيه المسكينين. وكادا يهمان بفعل ذات الشيء مع سام شاونج، عندئذ ظهرت جنية أمامهما، وأرسلتهما بعيدًا وهما يولولان إلى الكهوف الموجودة في التلال المجاورة حيث بدا أن منازلهما تقع هناك.

وللحظة أو اثنتين اعترى سام شاونج شعور بالحزن والأسى، فلقد نجا لتوه من خطر محتوم، وصار وحيدًا في منطقة غير

Twitter: @ketab_n

مأهولة، وكان الليل قد بدأ يلقي بظلاله الكئيبة التي تخيم على كل ما يحيط به. وبات ما يشغل باله ويجول بخاطره هو المكان الذي سيقضي فيه ليلته؟ وفي تلك اللحظة ظهر رجل دعاه لمنزله في قرية جبلية على سفح التلال التي ظهرت أمامه فجأة في مكان ليس ببعيد منهما.

وعلى الرغم من كونه غريباً و لم يسمع أحد هناك قط باسم سام شاونج، فلقد عامل الرجل ضيفه معاملة الملوك وقدّم له أفضل ما في البيت. وشعر سام شاونج بالتأثر الشديد لتلك المعاملة الكريمة التي تلقاها، وقرر أن يرد الجميل لمضيفه من خلال القيام بعمل يرضيه ويرضي كافة أفراد أسرته.

وقام سام شاونج بعمل مذبح مؤقت أمام صورة إله البيت الذي تصادف أنه إلهة الرحمة، وتضرع في خشوع وهو يتغنى بقداس الموتى أمامها، وقد كانت صلواته مقبولة حتى إن روح والد مضيفه والتي كانت محبوسة في أرض الأرواح قد أطلق سراحها من تلك الأرض التي لا تدخلها الشمس وسمح له بأن تولد من جديد وأن تتخذ مكانًا لها بين الأحياء. بالإضافة إلى ذلك ففي تلك الليلة ظهر الأب لابنه في رؤية وأخبره أنه نتيجة لشفاعة سام شاونج الشهير بتقواه والمعروف في الأراضي التي

Twitter: @ketab_n

يحكمها الإله يام لو، سمح له الإله بمغادرة تلك البلاد التي تخيم عليها الكآبة وأنه ولد ثانية لتوه في أسرة بمقاطعة شينسي.

وابتهج الابن بتلك الأنباء الرائعة أيما ابتهاج، وكي يعبر عن امتنانه لذلك الفعل الكريم، تطوع بالانضمام إلى سام شاونج مباشرة ليرافقه في رحلته إلى حدود الصين ويبدي استعداده التام لمشاركته في الصعاب والمخاطر التي قد يتعرض لها في الطريق.

وبعد أيام من السفر المنهك، انتهى ذلك الجزء من الرحلة أخيرًا وكانت تلك المهمة المرهقة على وشك الانتهاء، وكانا على وشك أن يفترقا عند سفح تل يقع على الحدود ما بين الصين وبلاد البرابرة فيما وراء ذلك، عندما سمع صوت هائل يصيح قائلاً: «ها قد أتى الراهب! ها قد أتى الراهب!».

وعند سماعه لهذه الكلمات سأل سام شاونج مرافقه عن المغزى من وراء تلك الكلمات، وعمن هو رجل الدين المقصود بهذا الكلام.

فأجاب الرجل قائلاً: «هناك تقليد متبع في هذا الإقليم، فمنذ خمسمئة عام مضت، تجرأ جني معين انطلاقًا من كبره على القيام بثورة ضد إلهة الرحمة في الفردوس الغربي. ولمعاقبته على

Twitter: @ketab_n

ذلك حولته الإلهة إلى صورة قرد، وحبسته في كهف بالقرب من أعلى التل. وحكمت عليه بالبقاء هناك حتى مرور سام شاونج من هذا الطريق وعندها يمكنه الحصول على العفو من خلال اقتياد رجل الدين إلى الإلهة التي أمرته بالحضور إليها».

وبعد ذلك، صعد الرجلان التل باتجاه المنطقة التي أتى منها الصراخ «ها قد أتى الراهب»، ذلك الصوت الذي ظل يرن في الهواء، حتى وصلا إلى كهف طبيعي، سدّ مدخله بصخرة هائلة موضوعة على نحو يجعل الخروج من ذلك الكهف مستحيلاً. وحينئذ نظر الرجلان من خلال التجاويف الموجودة في الجانب، ورأيا بوضوح شكل ذلك القرد الذي كان يرفع رأسه بنظرة حماس وتطلع باتجاه سام شاونج ورفيقه.

وسمع الرجلان صوت القرد وهو يصيح ويصرخ قائلاً: «أطلق سراحي وسوف أقودك بكل أمانة وإخلاص إلى الفردوس الغربي، ولن أتركك حتى تجد نفسك واقفًا في حضرة إلهة الرحمة».

فرد عليه سام شاونج متسائلاً: «ولكن كيف لي أن أخرجك من هذا المكان، إن هذه الصخرة التي تسدّ الكهف كبيرة للغاية ولا يمكن لأيدي بشر أن تحركها، ولذلك فعلى الرغم من شعوري

Twitter: @ketab_n

بالشفقة عليك ورغبتي الشديدة في مساعدتك كي تتمكن من إرشادي في الطرق المجهولة الواقعة أمامي، أخشى أن مهمة إطلاق سراحك يجب أن يتولاها شخص آخر وليس مقدراً لي أنا أكون أنا هذا الشخص».

فأجابه القرد قائلاً: «إن إنقاذي لهي مهمة أسهل مما تتخيل، فقط ركز عيناك على حافة تلك الصخرة الكبيرة التي حركتها الإلهة بلمسة من أحد أصابعها في هذا المكان منذ خمسمئة عام مضت، كما لو كانت الهواء الذي يهب عليك في نسمة صيف، وسوف ترى ذلك الجزء الأصفر المميز عن باقي الحجر المغطى بالطحالب السوداء. تلك هي العلامة التي تركتها الإلهة، لقد طبعتها على الصخرة عندما حكمت علي منذ قرون بالبقاء في هذه الزنزانة الضيقة حتى تأتي أنت وتطلق سراحي. يدك وحدها هي التي يمكنها أن تحرك ذلك الرمز الغامض وتنقذني من عقوبة الموت حيًا».

وعند سماعه تلك الكلمات، نفّذ سام شاونج تعليمات القرد، وأخذ يقشط تلك الخطوط الصفراء التي حاول دون نتيجة أن يفك شفرتها، وعندما انتهى من قشط الجزء الأخير، تحركت الصخرة الهائلة الحجم ببطء إلى أحد الجوانب بحركات سلسة

Twitter: @ketab_n

ورقيقة، ثم مالت على أحد جوانبها حتى خرج السجين من سجنه وعندها عادت الصخرة مرة ثانية إلى موقعها.

وبناء على توجيهات القرد، الذي ظهر في صورة رياضية وامتلك قوة بدنية ولياقة وحسن البنية، تابع سام شاونج رحلته فوق الجبال المرتفعة وعبر الوديان التي تقع في سفوح الجبال وفي ظلها فيما عدا في وقت الظهيرة عندما كانت أشعة الشمس المحرقة تسطع فوقهما مباشرة. ثم سافرا عبر الصحاري حيث لا يظهر أي أثر لأقدام بشر بفعل تلك الموجات الرملية التي تتلاعب بها الرياح فلا تبقى على حالها، وحيث بدا الموت وكأنه عدو لئيم يتربص بهما في انتظار تلك اللحظة التي سيتمكن فيها من الانقضاض عليهما واقتناص حياتهما.

وهنا شعر سام شاونج كم هو شخص محظوظ بعناية الإلهة له حين وفرت له ذلك المرافق الذي أصبح نعم الرفيق رغم تجسد هذا الرفيق في صورة قرد، والذي ربما يكون قد ولد في تلك الصحاري الرملية اللانهائية، فقد كان خبيرًا بحالتها. ولقد شعر القرد بأن هناك شيئاً ينذر بوقوع المخاطر، واستطاع بموهبة فريدة حبته إياه الآلهة أن يقرأ في الهواء وفي ألوان السماء في الفجر والغروب ما ينبئه بما سيحدث، فقد كان يجزم بما إذا كانت

Twitter: @ketab_n

هناك عاصفة في الطريق ستحيل تلك الصحاري الساكنة إلى محيطات من الرمال تتقاذفها الرياح، دون رحمة ولا هوادة حتى قد تكون أصعب من العواصف التي تضرب البحار حيث تبتلع كافة الكائنات الحية وتعصف بهم في أغوارها بلا رحمة. ومع ذلك كان يعلم أين توجد ينابيع المياه المختبئة تحت ذلك التوهج والتألق الذي يؤلم العينين بمجرد النظر إليه. ومن دون وجود علامة واحدة في تلك الصحراء الشاسعة بلا حدود، وبغريزته التي لا تخطئ قطّ كان يتجه مباشرة إلى البقعة التي يوجد بها النبع المتدفق من الشلالات الهائلة الواقعة في الأسفل.

وبعد عبور تلك البرية، التي كان سام شاونج سيفنى بها حتماً إذا ما سافر وحيدًا، وصلا إلى إقليم يسكنه شعب رعوي تسوده عصابات من قطاع الطرق واللصوص. وكان القرد جريئاً ولم يكن يخشى لقاء العدو في قتال عادل، ولكنه لأجل خاطر سام شاونج الذي بدا أن سلوكه الودود يهذب طبيعته المتأججة الجامحة على نحو لا يصدق، حاول قدر الإمكان أن يتجنب الصدام مع أي من الشخصيات الشريرة، رجالاً كانوا أم أرواحاً، والذين قد يرغبون في التشاجر معه.

وفي أحد الأيام، كان الرحالة يمرون بسهل كبير، ترعى فيه

Twitter: @ketab_n

قطعان الماشية في كل اتجاه تحت عناية الرعاة، وكانوا قد وصلوا إلى قاعدة سفوح التلال التي تقود إلى البلاد الجبلية الواقعة ما وراء ذلك، عندما قطع التأمل الهادئ الذي عادة ما ينخرط فيه سام شاونج صرخة مفاجئة ومدوية شقت صدر الصمت المخيم على أرجاء المكان وعندما حانت التفاتة من سام شاونج ليرى مصدر هذه الصرخة، أدرك أن مصدرها هو ذلك القرد التعيس.

وعندئذ اقترب القرد من سام شاونج وقال له في صوت خفيض: «هل ترى هؤلاء الرجال الستة الذين يترجلون عن التلال باتجاهنا؟ بالطبع يبدو مظهرهم جميعاً وكأنهم مزارعون بسطاء، وعلى الرغم من ذلك فهم يجسدون كل ألوان الشر، ذلك أنهم يتخفون في صورة رجال كي يأخذونا على حين غرة. وغرضهم الحقيقي هو قتلك وإحباط مهمة الإلهة الجليلة التي ترغب في تحرير الأرواح من أرض الأرواح ومن العذابات التي يتعرضون لها هناك».

ثم تابع القرد حديثه قائلاً: «أعرفهم حق المعرفة إنهم أرواح شريرة وخبيثة ولا تهاب شيئًا حتى إنهم لم يهزموا في أي من المعارك التي خاضوها. إلا أنهم لا يعلمون شيئًا عن المخلوق الذي يقف إلى جانبك فلو كانوا يعرفون لكانوا قد توخوا المزيد

Twitter: @ketab_n

من الحذر فعلى الرغم من أنني أعزل إلا أنهم قد يتهيبون خوض التشاجر معي».

واستطرد القرد كلامه قائلاً: «ولكنني جد سعيد لأنهم لم يكتشفوا بعد من أكون فلقد كانت روحي تتطلع إلى ذلك اليوم، وأصبو إلى الاشتراك في معركة كهذه لا تليق إلا بالآلهة، يذيع من خلالها صيتي في الفردوس الغربي وحتى في أرجاء أرض الأرواح».

وبعد ذلك، أطلق القرد صرخة سعادة مدوية، وكأن الحظ السعيد قد حالفه، وسار على الطريق للقاء الأعداء القادمين في اتجاهه، وفي نبرات متحدية تنم عن الازدراء تحدى فيها الجميع لخوض تلك المعركة القاتلة.

وما لبث أن اكتشف الأشرار هوية ذلك المخلوق الذي تجرأ على الدفاع عن سام شاونج بمثل تلك الجرأة والتعالي، وصرخوا صرخات عالية وهرعوا في اتجاهه وهم يأملون في تشويشه وإرباكه بهجوم كثيف من جانبهم اشتركوا فيه جميعاً معاً، وحاولوا الثبات على قلب رجل واحد، وأرادوا بذلك أن يدخلوا الرعب في قلب هذا القرد المسكين ويجبروه على الهرب خوفًا منهم، أو أن يحاول أن يلوذ بالفرار والنجاة بحياته.

Twitter: @ketab_n

وفي تلك اللحظة بالتحديد أدرك الأشرار تمامًا من يكون عدوهم. فبحركات جريئة مثل حركاتهم وإنما بمهارة فاقت مهارات الشياطين الستة الغاضبين، أمسك القرد رمحًا أتى إليه وهو يطير في الهواء في اللحظة المناسبة عندما احتاج إليه، وضرب به أحد أعدائه ضربة قاتلة طرحته أرضاً، وأطلق صرخة متحشرجة لا تصدر إلا عن روح تلفظ أنفاسها الأخيرة.

والآن صارت المعركة على أشدها، وأخذت الرماح الخفية تطلق من كل حدب وصوب بسرعة تفوق سرعة الضوء ضد هذا المقاتل القوي الوحيد، ولكنها ارتطمت بذلك الدرع السحري التي وضعته الجنيات أمامه. لقد كانت معركة دامية بالأسلحة لم تر مثيلها قط أعين البشر في أي من المعارك الكبرى، ولكن القرد لم يفقد أبدًا رباطة جأشه وتعقله ولو للحظة واحدة. بل استطاع أن يتصدى لهم بشجاعة وبسالة ويرد لهم الصاع صاعين وبطعنة أخرى رائعة، استطاع القرد أن يقضي على شيطان آخر صرعه بقوة ليخرّ هذا الشيطان صريعاً تحت قدميه.

شاع الارتباك في عقول الجبناء المتبقّين، وفقدوا أعصابهم ولجأوا إلى السبل اللئيمة التي لم تخذلهم قط في أي من معاركهم ضد البشر. وكان همهم الأكبر في الوقت الحالي هو محاولة

Twitter: @ketab_n

استدراج القرد إلى الموقع الذي سيتمكنون فيه من القضاء عليه حتمًا. وتوجهت ناحيته ثلاثة رماح بدقة عالية، ولولا أنه قفز عاليًا في الهواء لم تكن أي قوة على وجه الأرض لتتمكن من إنقاذه.

وكانت تلك اللحظة من المعركة هي النصر المزدوج الذي حققه القرد. فلقد قفز برشاقة على الأرض فيما كانت ظهور أعدائه لا تزال ملتفة نحوه وتمكن من التخلص من ثلاثة آخرين من أعدائه من خلال محاربته بالسيف ذي الشفرة المزدوجة الذي كان يحمله في كلتا يديه. وارتعد آخر فرد متبق من أفراد العدو خوفًا عندما رأى رفاقه وهو يرقدون جميعاً قتلى هامدين على الطريق، فهرب من فوره ولم تكد تظهر منه سوى بقعة سوداء اختفت ببطء في الأفق البعيد.

وهكذا فقد انتهت المعركة الكبرى التي حقق فيها القرد ذلك الفوز الرائع والانتصار الساحق على الشياطين الأشرار الذين أتوا من الشمال المتجمد، واقترب سام شاونج وأخذ يحدق ويتطلع في تلك الجثث الشريرة الممزقة لتلك الأرواح المخيفة التي كانت تحارب منذ لحظات لإنقاذ حياتها.

ولأن سام شاونج كان من الرجال الذين يتمتعون برقة القلب بصورة فطرية، وعلى الرغم من معرفته بالأهداف الدنيئة التي

Twitter: @ketab_n

كانت تلك المخلوقات الشريرة تسعى إليها، إلا أنه وعند النظر إلى هذا المشهد المحزن لجثث القتلى، خيمت سحابة من الحزن على وجهه وأطلق زفرة أسى حرّى بينما أخذ يفكر في تلك الحيوانات التي اختطفت أمام عينيه دون أن يستطع معها حراكاً.

وما من شك في أن تلك الشياطين قد أتت وهي تضع نصب أعينها هدفاً واحداً فحسب وهو القضاء عليه، ولذلك لم يكن هناك داع للشعور بالندم أو التأسي على وفاتهم. ولكن الحياة بالنسبة لسام شاونج كانت تعني الكثير فهي كنز ثمين للغاية وهي عطية الإله إلى خلقه بغض النظر عن الشكل الذي يحويها. إن الحياة هي هبة السماء ولا يجوز إطلاقاً القضاء عليها ما لم ترتكب جريمة شنيعة ضد الآلهة.

وبينما كان سام شاونج مستغرقاً تمامًا في ذلك التفكير شعر بتجهم يملأ قلبه، حتى إنه نسي أن يشكر البطل الذي وقف إلى جانبه والذي خاطر بحياته من أجله، والذي لولا القوة التي يتمتع بها لكان قد سقط ضحية كراهية هؤلاء الأعداء من البشر. وبدأت مشاعر الاستياء والنقمة تقفز إلى ذهن القرد فيما رأى سام شاونج وهو يشعر بالشفقة على الشياطين القتلى بدلاً من أن يشعر بالامتنان للمجهود البطولي الذي قام هو به لينقذه من موت محقق.

Twitter: @ketab_n

وفجأة بادر القرد سام شاونج بالسؤال قائلاً: «هل أنت غير راض عن الخدمات التي قدمتها لك اليوم؟».

فأجابه سام شاونج قائلاً: «لقد حركت قلبي ومشاعري بما فعلته اليوم، ولكنني آسف أنك لم تتمكن من إنقاذي من دون أن تقتل هؤلاء الشياطين المساكين، إذ حرمتهم من نعمة الحياة، وهي نعمة غالية بالنسبة لهم كما هي بالنسبة لي ولك».

وهكذا فإن القرد بطبيعته الحادة المتسرعة، لم يكن ليقبل بمثل هذا الثناء الضئيل ولذا فقد أعلن له بلغة ساخطة أنه لن يكون راضيًا عن خدمة مثل هذا السيد الجبان، قائلاً إنه على الرغم من حب الآلهة له، إلا أنه يرفض بحياته ثانية من أجله.

وبعد أن ألقى القرد بهذه الكلمات الساخطة في وجه سام شاونج قفز في الهواء عالياً، وحلق بعيدًا في الأفق في السموات البعيدة اللانهائية، حتى وصل إلى حافة المحيط الواسع، وقفز فيه كأنه منزله الذي طالما عاش فيه، ولقد اتخذ طريقًا له بين الممرات التي بدت مألوفة بالنسبة له حتى وصل إلى قصر تنين البحر، الذي استقبله بود بالغ ودعاه إلى البقاء معه ليحل ضيفًا عليه للمدة التي يرغبها. ولبعض الوقت أخذ يتمتع بتلك المشاهد الرائعة التي تقع في باطن مياه ذلك المحيط الكبير، التي لها حياتها وصورها

Twitter: @ketab_n

المختلفة، ولكنها قد تبدو غريبة غامضة بالنسبة للبشر الذين لم يعتادوا النظر إلى ذلك.

ولكن مع الوقت صار القرد غير راضٍ عن نفسه ولم يتأقلم مع حياته، فلقد تسللت تلك الأفكار الكئيبة ببطء إلى قلبه وسيطرت عليه واسترجع كيف أنه في لحظة انفعال ترك سام شاونج وما بيده حيلة في ذلك الإقليم الغريب المجهول، والأسوأ من ذلك أنه لم يكن أمينًا على ما استأمنته الإلهة عليه. ولقد شعر أيضًا أنه على الرغم من هروبه إلى أعماق المحيط، فلا يمكنه أن يبعد بما يكفي عن سلطانها، حتى إنها يمكنها في أي وقت أن تسجنه مرة ثانية في ذلك الكهف الجبلي الذي كاد أن يتعفن فيه طوال خمسمئة عام، ويمكنها بكل سهولة أن تعيد الكرة معه ثانية بكلمة واحدة منها.

وفي غمرة شعوره بالندم عن أخطائه السابقة، ألقى بنظره على لفيفة متدلية من إحدى غرف القصر، وحين قرأ القصة المكتوبة عليها، شعر بوخز في قلبه، ومنذ تلك اللحظة قرر أن يهرع ثانية إلى المهمة التي هرب منها من قبل ألا وهي حماية سام شاونج.

ولقد كانت الكلمات المكتوبة على اللفافة بحروف من ذهب تحكي قصة وقعت في وقت ما من التاريخ عن القرار الذي

Twitter: @ketab_n

اتخذته الجنيات ذات مرة بمساعدة شاب اسمه تشانج لونج الذي حاز على إعجابهن نظرًا لنبل شخصيته التي كانت تظهر من سلوكه العام في الحياة. وكان تشانج لونج ينحدر من أسرة تعيش في فقر مدقع، وهكذا فمن دون الحصول على تلك المساعدة التي منحتها إياه لم يكن ليصل إلى تلك المنزلة العالية التي حققها في الدولة والتي مكنته من خدمة بلاده. ولكن يجب اختباره أولاً لمعرفة ما إذا كانت شخصيته قوية بما فيه الكفاية لتحمل الضغوط التي يمكن أن يخضع لها عليه. وهكذا فقد أرسلوا واحدًا من بين أكثرهم خبرة ليخضعه لذلك الاختبار.

وتخفى ذلك الشخص في شكل شيخ رث يرتدي ثياباً رثة وجلس على جسر فوق نهر بالقرب من القرية التي يعيش فيها المقربون من الله. وبعد فترة، أتى تشانج لونج وهو يمشي بنشاط، وبينما يمر بالرجل المتخفي أسقط الأخير أحد نعليه في الماء في الأسفل، وبحزن شديد توسل إلى الشاب كي ينزل إلى الماء ويجلبه له.

وبابتسامة هادئة، قفز تشانج لونج من فوره في الماء، وفي لحظة عاد ومعه فردة نعل الرجل وسلمها إليه، وعندئذ طلب منه الرجل أن يلبسه إياها. وكان بذلك يطلب منه عملاً وضيعًا لم يكن معظم الرجال ليرضوا به ولكن تشانج لونج أشفق على هذا

Twitter: @ketab_n

الرجل الغريب الهرم، وانحنى أرضاً على الفور وألبسه الحذاء الذي كان لا يزال يقطر ماء.

وفيما كان يفعل ذلك، تمكن الرجل من أن يسقط الفردة الأخرى من الحذاء بمهارة في النهر من حافة الجسر. واعتذر الرجل عن غبائه وأخذ يبرر ذلك بأنه رجل عجوز وأن أصابعه لم تعد رشيقة كما كانت من قبل. وعندها توسل إلى تشانج لونج أن يعيد معه الكرة، وأن يسديه صنيعًا بالتقاط الفردة الأخرى من النعل ويعيدها له.

وبالروح الهادئة نفسها قفز تشانج لونج إلى النهر ثانية، كأنما لم تُطلب منه مهمة حقيرة وأعاد نعله، وكرر دون تردد عملية إلباس الرجل الفردة الثانية.

وعندها رضي الجني تمامًا، وشكر تشانج لونج ثم أعطاه كتابًا أخرجه من طرف كمه وحثه على دارسته باجتهاد ثم اختفى عن نظره. وهذا اللقاء الذي وقع في ذلك اليوم على جسر البلدة كان له أعظم الأثر في حياة تشانج لونج الذي ترقى في المناصب على الفور وفي النهاية أصبح رئيس وزراء الصين.

وفيما أخذ القرد يدرس مغزى تلك الكلمات الذهبية التي أمامه ويتمعن فيها، قارن القرد بين حاله وحال تشانج لونج،

Twitter: @ketab_n

وشعر بوخز في قلبه عندما أدرك الخطأ الذي ارتكبه، وشرع على الفور ومن دون أن يودع التنين أمير البحر في العودة إلى خدمة سام شاونج.

وفي أثناء خروجه من المحيط، وجد إلهة الرحمة نفسها في انتظاره على الرمال الصفراء الموجودة على الشاطئ، حيث كانت قد أتت لتحذره من العواقب الوخيمة التي قد تحل به إن هو عجز ثانية عن القيام بالمهمة التي أنيطت به والمتمثلة في اقتياد سام شاونج إلى الفردوس الغربي.

وعند سماعه القرد تلك التحذيرات ملأ الخوف قلبه، وأصابه رعب شديد من جراء تلك المخاطر التي تهددته، وفي ذات الوقت شعر بالندم الشديد على الإثم الذي ارتكبه، وصعد إلى أعلى الجبال التي تشق قممها عنان السماء وطار بسرعة فائقة حتى وقف ثانية بجوار سام شاونج.

والعجيب في الأمر أن سام شاونج لم يصدر منه أي تأنيب من أي نوع عند عودة ذلك المتهرّب من مهمته، و لم ينبس ببنت شفة في محاولة منه لتوبيخه على فعلته الحمقاء، وإنما استقبله بابتسامة رقيقة كانت هي التعبير الوحيد عن استيائه.

Twitter: @ketab_n

وكان جل ما فعله سام شاونج هو أنه التفت إليه قائلاً: «أنا سعيد للغاية بعودتك إلى جواري، ذلك أنني كنت قد ضللت الطريق من دون إرشادك لي في هذا العالم المجهول، ولكن منذ أن تركتني ظهرت لى الإلهة وطمأنتني بأنك سوف تعود قريبًا لاستكمال مهماتك وكي تكون صديقًا لي، كما كنت دومًا في الماضي. ولقد استاءت الإلهة للغاية لحالتي وقررت ألا يحدث لي أي من ذلك في المستقبل، ولذلك فقد قررت أن تمنحني عباءة مطرزة على أيدي الجنيات اللاتي يخدمن في قصرها.

كما وجهت لي الإلهة أوامرها قائلة: «احم هذه العباءة جيدًا كما تحمي حياتك، فإنها سوف تؤدي لك الخدمات التي قد يؤديها لك الشخص الذي ظلّ حبيسًا طوال خمسمئة عام كي يستعد لاصطحابك في رحلتك إلى الفردوس الغربي. إنه المخلوق الوحيد على ظهر هذا الكون الذي يتمتع بالشجاعة الكافية للقاء الأعداء ولكنه ثائر الآن مثل العاصفة الغاضبة. فإن لم يعد لك ثانية، ضع هذه العباءة على رأسك وسوف تحل جميع تلك الصعاب التي يمكن أن تتعرض لها حتى يأتي إليك هذا القرد مرة أخرى، وتأكد من أنه حتى لو كان هذا القرد على بعد آلاف الأميال فإنه سوف يهرع إليك ثانية بكل قوته كي يخلعها عنك

Twitter: @ketab_n

ويريح نفسه من تلك العذابات التي تؤرق جسده».

وبعد الكثير من المغامرات التي ليس هناك متسع لقصها الآن، وصل سام شاونج إلى حدود البحيرة الهائلة، التي تمتد لأميال عديدة، ويقع فوقها جسر لا يزيد عرضه عن قدم واحدة. وبخوف وارتعاد كما يرتعد الرجال على الصراط في الآخرة، وبقلب مرتجف، وهو ينظر إلى ذلك الجسر الضيق الذي يمر عليه، حزم سام شاونج أمره واستجمع شتات نفسه ولملم طيات شجاعته ومرّ أخيرًا بأمان من فوق هذا الجسر الخطير، وعندئذ فوجئ بنبض حياة جديدة تدب بقوة بداخله. وفيما وراء ذلك اللسان الضيق من الأرض الذي يحد البحيرة الممتدة التي مر فوقه لتوه، كان هناك نهر متدفق وعلى ضفته وجد قارباً وعلى متنه رجل على استعداد لأن يعبر به النهر.

وما إن وصلا إلى منتصف النهر حتى رأى سام شاونج رجلاً يصارع في الماء كأنه يحاول النجاة بحياته. واستثار ذلك الرجل مشاعر الشفقة بداخل سام شاونج، فحث قائد القارب أن يذهب لإنقاذه من الغرق، ولكن قائد المركب أخبره بحسم أن يلتزم الصمت ووجه إليه حديثه قائلاً: «هذا الشخص الذي تراه هناك، هو نفسك أو على الأرجح هو القشرة الخارجية لنفسك والتي

Twitter: @ketab_n

خضت بها رحلة الخلاص والتحرر في العالم الواقع فيما ورائنا، والتي لا يمكنك الاستعانة بها في الحياة التي دخلتها لتوك».

وبعد قليل من الوقت وصل سام شاونج إلى الضفة الأخرى من النهر ليجد إلهة الرحمة وقد وقفت على حافتها في انتظاره وقامت بتقديم الترحيب الحار له بوجه مبتسم في منزلة الجنيات.

ومنذ ذلك الوقت، يؤمن الأشخاص الذين تصل رؤيتهم إلى أبعد من المشاهد العادية الرمادية في الحياة الدنيا، بأن سام شاونج قد ظهر على الأرض كثيرًا منذ ذلك الحين متخفيًا في شخصيات عدة، ليمد يد العون في الحالات الطارئة التي تتطلب أكثر من مجرد القوة البشرية لإنقاذ البشر من الضياع. وهناك أمر واحد نحن على يقين منه ويعلنه أولئك الذين تلقوا هبات الموهبة من السماء وهو أن سام شاونج ظهر متخفيًا في زي رجل دين وقدم إلى الدير البوذي الطقوس الجديدة التي أعدتها إلهة الرحمة له، والتي تستخدم في القداس في جميع أنحاء الشرق حتى يومنا هذا.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

ISBN 978-9948-01-328-0

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والرياضيات / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

كلمة
KALIMA
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE